سورة الأحقاف

مكيةٌ في قول جميعهم. وهي أربع وثلاثون آية، وقيل: خمسٌ[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ . تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تقدَّم[2]. ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ تقدَّم أيضاً[3]. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ يعني القيامة؛ في قول ابنِ عباس وغيره[4]. وهو الأجلُ الذي تنتهي إليه السماواتُ والأرض[5]. وقيل: إنه هو الأجل المقدورُ لكلِّ مخلوقٍ[6]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾: خُوِّفُوا ﴿مُعْرِضُونَ﴾: مُوَلُّون لاهُون غير مستعدِّين له. ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، أي: عن إنذارهم ذلك اليوم[7].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١٤، وقوله: مكية في قول الجميع، فيه نظر؛ فقد روي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آية مدنية كما هو في النكت والعيون ٥/ ٢٧٠، وزاد المسير ٧/ ٣٦٨. وروي أيضاً عن مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين. ذكره ابن الجوزي أيضاً. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٩١.

(٢) ص١٤٣ من هذا الجزء.

(٣) ١٢/ ٢٤٩.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٧١.

(٥) الوسيط ٤/ ١٠٢.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٧١.

(٧) الكشاف ٣/ ٥١٥.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما تعبدون من الأصنام والأندادِ من دون الله. ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: هل خَلَقوا شيئاً من الأرض؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: نصيبٌ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: في خلق السماوات مع اللهِ. ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: من قبل هذا القرآن[١].

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قراءة العامة: «أَوْ أثارةٍ» بألفٍ بعد الثاء.

قال ابن عباس عن النبيِّ ﷺ: «هو خطٌّ كانت تخطُّه العرب في الأرض»[٢]؛ ذكره المهدويُّ والثعلبيُّ. وقال ابن العربي[٣]: ولم يصحَّ. وفي مشهور الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: «كان نبيٌّ من الأنبياء يَخُطُّ، فَمَنْ وافَق خطَّه فذاك» ولم يصحَّ أيضاً.

قلت: هو ثابتٌ من حديث معاوية بن الحَكَم السُّلمي؛ خرَّجه مسلم[٤]. وأسند النحاس: حدَّثنا محمد بن أحمد ـ يعرف بالجرايحي[٥] ـ قال حدثنا محمد بن بندار قال: حدَّثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان الثوري، عن صفوان بن سُلَيم، عن أبي سَلَمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قال: «الخطّ» وهذا صحيحٌ أيضاً[٦].

---

(١) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) أخرجه الطبري ٢١/ ١١٣، وسيذكره المصنف بلفظ: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: الخط.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٨٤.

(٤) برقم (٥٣٧)، وهو عند الإمام أحمد (٢٣٧٦٢).

(٥) في (خ) و(د) بالجريحي. وفي (ظ) بالحريجي.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٩٩٢)، والبغدادي في تاريخ بغداد ٤/ ٣٥٥، وعبد الرزاق ٢/ ٢١٥، والطبري ٢١/ ١١٣، وسلف آنفاً.

قال ابن العربي[١]: واختلفوا في تأويله؛ فمنهم من قال: جاء لإباحة الضربِ؛ لأن بعضَ الأنبياء كان يفعله. ومنهم من قال: جاء للنهي عنه؛ لأنه ﷺ قال: «فمَنْ وافقَ خطَّه فذاك». ولا سبيلَ إلى معرفة طريق النبيِّ المتقدِّم فيه؛ فإذاً لا سبيل إلى العمل به. قال[٢]:

لَعمرك ما تدري الضوارِبُ بالحصا ولازاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وحقيقتُه عند أربابه ترجع إلى صور الكواكب، فيدلُّ ما يخرج منها على ما تدل عليه تلك الكواكبُ من سعدٍ أو نحسٍ يحلُّ بهم، فصار ظنًّا مبنيًّا على ظنّ، وتعلقًا بأمرٍ غائب قد دَرَسَتْ طريقُه وفات تحقيقُه؛ وقد نهت الشريعةُ عنه، وأخبرت أن ذلك مما اختصَّ الله به، وقطَعه عن الخَلق، وإن كانت لهم قبل ذلك أسبابٌ يتعلَّقون بها في درك الأشياء المغيَّبة؛ فإن الله قد رفعَ تلك الأسبابَ، وطمسَ تيك الأبوابَ، وأفرد نفسَه بعلم الغيب؛ فلا يجوز مزاحمتُه في ذلك، ولا يَحلُّ لأحدٍ دعواه. وطلبُه عناءٌ لو لم يكن فيه نهيٌ، فإذ وقد ورد النهي؛ فطلبه معصية أو كفرٌ بحسب قصد الطالب.

قلت: ما اختاره هو قول الخطابي[٣]. قال الخطابي: قوله عليه الصلاة والسلام: «فمن وافَق خطَّه فذاك» هذا يَحتمل الزجر إذ كان ذلك عَلَماً لنبوَّته، وقد انقطعت، فنُهينا عن التعاطي لذلك. قال القاضي عياض[٤]: الأظهر من اللفظ خلافُ هذا، وتصويب خط من يوافق خطَّه؛ لكن من أين تُعلم الموافقة والشرعُ منعَ من التخرُّص وادعاءِ الغيب جملةً؟ فإنما معناه: أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته؛ لا أنه يريد إباحةَ ذلك لفاعله على ما تأوَّله بعضُهم.

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٨٤ - ١٦٨٥ .

(٢) لبيد بن ربيعة ، ديوانه ص ٩٠ .

(٣) ينظر معالم السنن ١/ ٢٢٢ .

(٤) في إكمال المعلم ٢/ ٤٦٤ ، ونقله أبو العباس في المفهم ٢/ ١٤١ - ١٤٢ ، والكلام وما قبله منهما .

وحكى مكيٌّ في تفسير قوله: «كان نبيٌّ من الأنبياء يخطُّ»: أنه كان يخطُّ بأصبعه السبابة والوسطى في الرمل ثم يَزْجُر. وقال ابن عباس في تفسير قوله: «وممَّا رجالٌ يخطُّون»[١]: هو الخطُّ الذي يَخطُّه الحازي[٢] فيعطيه[٣] حُلواناً فيقول: اقعد حتى أخطَّ لك؛ وبين يدي الحازي غلامٌ معه مِيلٌ، ثم يأتي إلى أرضٍ رَخْوةٍ، فيخطُّ الأستاذُ خطوطاً معجلةً لئلَّا يلحقَها العددُ، ثم يرْجع فيمحو على مَهَلٍ خطَّين خطَّين، فإن بقي خطَّان فهو علامة النُّجح، وإن بقي خطٌّ فهو علامة الخيبة. والعرب تسميه: الأسحم، وهو مشؤوم عندهم.

الثالثة: قال ابن العربي[٤]: إن اللهَ تعالى لم يُبْقِ من الأسباب الدالة على الغيب التي أذن في التعلُّق بها والاستدلال منها إلا الرؤيا؛ فإنه أذِن فيها، وأخبر أنها جزء من النبوة[٥] وكذلك الفأل[٦]؛ وأما الطِّيَرة والزَّجر فإنه نَهى عنهما. والفَأْلُ: هو الاستدلال بما يَسْمَع من الكلام على ما يُريد من الأمر إذا كان حسناً؛ فإذا سمِع مكروهاً فهو تطيُّر، أمرَه الشرعُ بأن يفرح بالفأل ويمضيَ على أمره مسروراً. وإذا سمع المكروه أعرَض عنه ولم يرجع لأجْله، وقد قال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ لا طَيْرَ إلا طيرك، ولا خيرَ إلى خيرُك، ولا إله غيرُك»[٧]. وقد روى بعضُ الأدباء:

الفَأْلُ والزَّجْرُ والكُهَّانُ كلُّهُمُ مضلَّلون ودون الغيبِ أقْفالُ[٨]

---

(١) هو قطعة من حديث معاوية بن الحكم السلمي السالف.

(٢) الحازي: هو الكاهن، ويقال له أيضاً: الحزَّاء، وهو الذي يحزر الأشياء ويُقدرها بظنه. النهاية (حزو).

(٣) في (م) و(د) و(ظ) فيعطى. والمثبت من (خ) و(ز) و(ق) والإكمال والمفهم. وهو في النهاية لابن الأثير (خطط) ذكره عن ابن عباس أيضاً.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٨٥.

(٥) سلف قوله ﷺ ١١/ ٢٤٧ عن الرؤيا «جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

(٦) سلف ٧/ ٢٩٠ - ٢٩١ حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «لا طِيرة، وخيرها الفأل» قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»، وهو في الصحيحين.

(٧) قطعة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وسلف ٩/ ٣٠٧.

(٨) ذكره المبرد في الكامل ١/ ٤١٩، والبغدادي في الخزانة ١٠/ ٣٢١ دون نسبة.

وهذا كلامٌ صحيح، إلا في الفأل فإن الشرع استثناه وأقرَّبه، فلا يُقبل من هذا الشاعر ما نظَمه فيه؛ فإنه تكلم بجهل، وصاحبُ الشرع أصدقُ وأعلم وأحكم.

قلت: قد مضى في الطِّيرَة والفأل وفي الفرق بينهما ما يكفي في «المائدة»[١] وغيرها. ومضى في «الأنعام»[٢] أنَّ الله سبحانه منفرِدٌ بعلم الغيب، وأن أحداً لا يعلم من ذلك إلا ما أعلمه اللهُ، أو يجعل على ذلك دلالةً عادية يعلم بها ما يكون على جري العادة، وقد يختلف، مثاله: إذا رأى نخلةً قد أطلَعَت، فإنه يعلم أنها ستثمر، وإذا رآها قد تناثر طَلْعُها عَلِم أنها لا تثمر. وقد يجوز أن يأتي عليها آفةٌ تُهلك ثمرَها فلا تثمر؛ كما أنه جائز أن تكون النخلة التي قد تناثر طَلْعُها يُطلع اللهُ فيها طلعاً ثانياً فتثمر. وكما أنه جائز ـ أيضاً ـ ألَّا يلي شهرَه شهرٌ ولا يومَه يوم إذا أراد اللهُ إفناءَ العالَم ذلك الوقت. إلى غير ذلك مما تقدَّم في «الأنعام» بيانُه.

الرابعة: قال ابن خُوَيْزِمَنْدَاد: قوله تعالى: ﴿أَوَ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ يريد الخطّ. وقد كان مالك رحمه اللهُ يحكم بالخطّ إذا عرَف الشاهدُ خطَّه. وإذا عرف الحاكم خطَّه أو خطَّ من كتب إليه حكَم به، ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر من الحِيل والتزوير. وقد روي عنه أنه قال: يُحدِث الناس فجوراً فتحدث لهم أقضية. فأمَّا إذا شهد الشهود على الخطِّ المحكوم به؛ مثل أن يشهدوا أن هذا خطُّ الحاكم وكتابُه، أَشهدنا على ما فيه وإن لم يعلَموا ما في الكتاب. وكذلك الوصية أو خطّ الرجل باعترافه بمالٍ لغيره يشهدون أنه خطه، ونحو ذلك، فلا يختلف مذهبه أنه يحكم به[٣].

وقيل: «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ»: أو بقية من علم؛ قاله ابن عباس والكلبي[٤] وأبو بكر

---

(١) ٧/ ٢٩٠.

(٢) ٨/ ٤٠٢ وما بعدها.

(٣) ينظر الكافي لابن عبد البَرّ ٢/ ٩١٥.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ١٦٣.

ابن عياش[١] وغيرهم. وفي الصحاح[٢] «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ»: بقية منه. وكذلك الأَثَرَة، بالتحريك. ويقال: سَمِنت الإبل على أثارة، أي: بقية شحم كان قبل ذلك. وأنشد الماورديُّ[٣] والثعلبي قولَ الراعي:

وذاتِ أثـارة أكـلـتْ عـلـيـهـا نـبـاتـاً فـي أكـمَّـتـه قِـفـارا[٤]

وقال الهَرَوي: والأثارة والأثر: البقيَّة؛ يقال: ما ثَمَّ عين ولا أثر. وقال ميمون ابن مِهران وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن وقتادة: «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ»: خاصة من علم[٥]. وقال مجاهد: روايَةٍ تأثرونها عمَّن كان قبلكم[٦]. وقال عكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء[٧]. وقال القُرَظِي: هو الإسناد[٨]. الحسن: المعنى شيء يثار أو يستخرج[٩]. وقال الزجاج[١٠]: «أَوْ أَثَارَةٍ» أي: علامة. والأثارة مصدر كالسماحة والشجاعة[١١]. وأصل الكلمة من الأَثَر، وهي الرواية؛ يقال: أثرت الحديث آثُرهُ أَثْرًا وأَثَارَةً وأُثْرة فأنا آثر؛ إذا ذكرتَه عن غيرك. ومنه قيل: حديث مأثور، أي: نقله خَلَف عن سَلَف. قال الأعشى:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٧١ ، وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ١١٥ .

(٢) مادة : (أثر) .

(٣) في النكت والعيون ٥/ ٢٧١ .

(٤) ديوان الراعي النميري ص١٤٢ ، وجاء في النسخ الخطية: قصارا، بدل: قفارا، والمثبت من (م)، ونسب البيت أيضاً للشماخ، وهو في ديوانه ص٤٤٥ .

قوله: في أكمّته أي : في غُلفه ، جمع كِمام، وهو جمع كِمّ، والكِمّ: غطاء النَّور وغلافه . وقوله: قِفارا أي : خالياً من الناس . فَرَعَته الناقةُ وحدها . وقفار: وصف نبات. الخزانة ١٠/ ١٤١ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٧١ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ١١٤ .

(٦) أخرجه الطبري ٢١/ ١١٤ - ١١٥ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ١٦٣ .

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٩٢ .

(٩) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢١٥ ، والطبري ٢١/ ١١٤ .

(١٠) في معاني القرآن له ٤/ ٤٣٨ .

(١١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٥٠ .

إن الـذي فـيـه تَـمَـارَيْـتُـمَـا بُـيِّـن لـلـسـامـع والآثـر

ويروى: «بَيَّنَ»[١] وقرئ: «أَوْ أُثْرَة» بضم الهمزة وسكون الثاء. ويجوز أن يكون معناه: بقية من علم. ويجوز أن يكون معناه: شيئاً مأثوراً من كتب الأوَّلين[٢]. والمأثور: ما يُتحدَّث به مما صحَّ سنده عمن تُحدِّث به عنه .

وقرأ السُّلَمِيُّ والحسن وأبو رجاء بفتح الهمزة والثاء من غير ألف[٣]، أي: خاصة من علم أُوتيتموها، أو أوثرتم بها على غيركم. وروي عن الحسن أيضاً وطائفة: «أَثْرة» مفتوحة الألف ساكنة الثاء؛ ذكر الأولى الثعلبيُّ والثانيةَ الماورديُّ[٤]. وحكى الثعلبي عن عكرمة: أو ميراث من علم[٥]. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ فيه بيان مسالك الأدلة بأسرها، فأوّلها المعقول، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهو احتجاجٌ بدليل العقل في أن الجمادَ لا يصحُّ أن يُدعى من دون الله؛ فإنه لا يَضرُّ ولا ينفع. ثم قال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ فيه بيان أدلة السمع ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: لا أحدَ أضلُّ وأجهل ﴿مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن

(١) الصحاح (أثر)، والبيت في ديوان الأعشى ص ١٩١، وغريب الحديث ٢/ ٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٢، والخزانة ٣/ ٤٠٠، ورواية الديوان والخزانة: والناظر، بدل: والآثر.

(٢) زاد المسير ٧/ ٣٧٠.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٣٩، والمحتسب ٢/ ٢٦٤.

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٢٧١، وذكرها أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٦٩.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٩٢.

(٦) أحكام القرآن للكيا ٤/ ٣٧١.

لَا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وهي الأوثان. ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ يعني لا يَسمعون ولا يفهمون؛ فأخرجها ـ وهي جمادٌ ـ مخرجَ ذكورِ بني آدم؛ إذ قد مَثَّلَتها عبدتُها بالملوك والأمراء التي تُخدم[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يريد يوم القيامة. ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ أي: هؤلاء المعبودون أعداء الكفارِ يومَ القيامة. فالملائكة أعداء الكفار، والجنُّ والشياطين يتبرؤون غداً من عبدتهم، ويلْعَن بعضُهم بعضاً. ويجوز أن تكون الأصنامُ للكفار الذين عبدوها أعداءً؛ على تقدير خلق الحياة لها؛ دليلُه قوله تعالى: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[٢] [القصص: ٦٣]. وقيل: عادوا معبوداتهم لأنهم كانوا سبب هلاكهم، وجحد المعبودون عبادتهم؛ وهو قوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ يعني القرآن. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ الميم صلةٌ، التقدير: أيقولون افتراه، أي: تقوَّله محمدٌ. وهو إضرابٌ عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً. ومعنى الهمزة في «أم» الإنكارُ والتعجبُ، كأنه قال: دعْ هذا واسمع قولَهم المستنكَر المقضي[٣] منه العجبُ، وذلك

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١١٧.

(٢) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٣٠، والوسيط ٤/ ١٠٣.

(٣) في (د)، والكشاف ٣/ ٥١٦: «المفضي».

أن محمداً كان لا يقدرُ عليه حتى يقولَه ويفترِيَه على الله، ولو قدر عليه دون أُمّة العرب لكانت قدرته عليه معجزةً لخرقها العادة، وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من اللهِ له، والحكيم لا يصدِّق الكاذب فلا يكون مفترياً، والضمير للحق، والمراد به الآيات. ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ على سبيل الفَرْض. ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تقدرون على أن تردُّوا عني عذابَ الله؛ فكيف أفتري على الله لأجلكم؟![1]. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تقولونه؛ عن مجاهد[2]. وقيل: تخوضون فيه من التكذيب[3]. والإفاضة في الشيء: الخوض فيه والاندفاع. أفاضوا في الحديث، أي: اندفعوا فيه. وأفاض البعير، أي: دفع جِرَّته من كَرِشِه فأخرجها؛ ومنه قول الشاعر:

وأفَضْنَ بعد كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ[4]

وأفاض الناس من عرفاتٍ إلى مِنًى، أي: دفعوا، وكلُّ دَفْعة إفاضةٌ[5].

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا﴾ نصب على التمييز. ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: هو يعلَمُ صدقي وأنكم مبطِلُون. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: أوَّل من أُرسل، قد كان قبلي رسل؛ عن ابن عباس وغيره[6]. والبِدْعُ: الأوّل.

---

(١) الوسيط ٤/ ١٠٣، وتفسير البغوي ٤/ ١٦٣.

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٥٩٣، وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ١١٨.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٦٣.

(٤) صدر بيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص ٢٢٤، وسلف ٥/ ٣١٨، وعجزه: من ذي الأبارق إذ رَعَيْن حقيلا وقوله: كظومهن بجِرة. قال الفيروز: كظم البعير كظوماً: أمسَك عن الجِرة. والجِرَّة: وما يفيض به البعير فيأكله ثانيةً، واللقمة يتعلل بها البعير إلى وقت عَلَفِه. القاموس (كظم وجرر).

(٥) الصحاح (فيض)، وبنحوه في تهذيب اللغة ١٢/ ٧٧ - ٧٨.

(٦) أخرجه الطبري ٢١/ ١١٩ - ١٢٠، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق ٤/ ٣١١.

وقرأ عكرمة وغيره: «بِدَعًا» بفتح الدال، على تقدير حذفِ المضاف؛ والمعنى: ما كنتُ صاحبَ بِدَع[١].

وقيل: بِدْع وبديع بمعنًى؛ مثلُ: نصف ونصيف. وأبدع الشاعر: جاء بالبديع. وشيء بِدْع - بالكسر - أي: مبتدَع. وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر، أي: بديع. وقوم أبداع؛ عن الأخفش[٢]. وأنشد قُطْرُب قولَ عديِّ بن زيد:

فلا أنا بِدْعٌ من حوادثَ تعتري رجالاً غدت من بعد بؤسي بأسعدِ[٣]

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ يريد يوم القيامة - ولمَّا نزلَت فَرِحَ المشركون واليهود والمنافقون، وقالوا: كيف نتبع نبيًّا لا يدري ما يُفعل به ولا بِنا، وأنه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعلُ به؛ فنزلَت: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فنسخت هذه الآية، وأرغم اللهُ أَنْفَ الكفارِ. وقالت الصحابة: هنيئًا لك يا رسولَ الله، لقد بيَّن اللهُ لك ما يَفعلُ بك يا رسولَ الله، فليت شِعرنا ما هو فاعلٌ بنا؟ فنزلت: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥] الآية. ونزلت: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[٤] [الأحزاب: ٤٧] - قاله أنسٌ وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك[٥].

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٦٤، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣٩ عن أبي حيوة.

(٢) ينظر معاني القرآن له ٢/ ٦٩٣ ولم نقف على كلامه بتمامه ثمة، وهو بنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ١١٩ والبغوي ٤/ ١٦٤ دون نسبة.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ١١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٢، والحماسة البصرية ٢/ ٤٩، وجمهرة أشعار العرب ١/ ٥٠٠، وفي بعضها: عرت، بدل: غدت، و«أسعدُ»، بدل: بأسعد، وهو بهذا اللفظ في النكت والعيون ٥/ ٢٧٢.

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ١٢١ عن عكرمة والحسن البصري بنحوه، وسيذكره المصنف عن عطاء عن ابن عباس أول سورة الفتح، وسيرد في الفتح أيضاً خبر قول الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله... الخ، وهو من حديث أنس ﷺ، وهو في الصحيح، وليس فيه ذكر لآية الأحقاف.

(٥) يعني قولهم في تفسير الآية أعلاه: يريد يوم القيامة، كما في المحرر الوجيز ٥/ ٩٤، وزاد المسير ٧/ ٣٧٣.

وقالت أمُّ العلاء ـ امرأة من الأنصار ـ: اقتسمنا المهاجرين، فطار لنا عثمان بن مَظْعُون بن حُذافة بن جُمَح، فأنزلناه أبياتنا، فَتُوفِّيَ، فقلت: رحمةُ الله عليك أبا السائب! إن الله أَكْرَمك. فقال النبيُّ ﷺ: «وما يدريكِ أن الله أكرمه»؟ فقلت: بأبي وأمي يا رسولَ الله! فمن؟! قال: «أمَّا هو فقد جاءه اليقينُ، وما رأينا إلا خيراً، فواللهِ إني لَأَرجو له الجَنَّة، وواللهِ إني لَرسولُ اللهِ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم». قالت: فواللهِ لا أزكّي بعدَه أحداً أبداً[1]. ذكره الثعلبيُّ، وقال: وإنما قال هذا حين لم يعلَم بغفران ذَنْبِه، وإنَّما غفَر اللهُ له ذنبَه في غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَة قبل موته بأربع سنين.

قلت: حديثُ أمِّ العلاء خَرَّجه البخاريُّ، وروايتي فيه: «وما أدري ما يُفعل به» ليس فيه: «بي ولا بكم»، وهو الصحيح إن شاء اللهُ[2]، على ما يأتي بيانه. والآية ليست بمنسوخة؛ لأنها خبر.

قال النحاس[3]: محالٌ أن يكون في هذا ناسخ ولا منسوخ من جهتين: أحدهما أنه خبر، والآخر أنه من أوَّل السورة إلى هذا الموضع خطابٌ للمشركين واحتجاجٌ عليهم وتوبيخ لهم؛ فوجب أن يكون هذا ـ أيضاً ـ خطاباً للمشركين كما كان قبلَه وما بعده، ومحال أن يقولَ النبيُّ ﷺ للمشركين: ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في

---

(١) أخرجه بنحوه الإمام أحمد (٢٧٤٥٧)، والبخاري (١٢٤٣) عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أمِّ العلاء. وأم العلاء الأنصارية، من المبايعات، حديثها عند أهل المدينة، وقيل: هي بنت الحارث بن ثابت. الإصابة ١٣/ ٣٥٥.

(٢) رواية: «وما أدري ما يفعل به» أخرجها البخاري - كما قال المصنف رحمه الله - (٢٦٨٧)، ورواية: «ما يفعل بي ولا بكم» أخرجها البخاري - أيضاً ـ (٧٠١٨) وهي عند الإمام أحمد (٢٧٤٥٨).

وأما قول المصنف - فيما يتعلق برواية: «ما يفعل به» -: وهو الصحيح؛ فقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣/ ١١٥ - ١١٦: في رواية الكشميهني «به» وهو غلط منه... وإنما قال رسول الله ﷺ ذلك - أي: «ما يفعل بي ولا بكم» - موافقة لقوله تعالى في سورة الأحقاف ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ...

(٣) في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦٢٨ - ٦٢٩.

الآخرة، ولم يَزَل ﷺ من أوَّل مبعثه إلى مماته يخبر أنَّ مَن مات على الكفر مخلَّد في النار، ومن مات على الإيمان واتبعه وأطاعه فهو في الجنة، فقد رأى ﷺ ما يفعل به وبهم في الآخرة. وليس يَجوز أن يقول لهم: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة؛ فيقولون: كيف نتبعك وأنت لا تدري أتصير إلى خفضٍ ودَعة، أم إلى عذابٍ وعقاب؟!.

والصحيح في الآية قولُ الحسن، كما قرئ على محمد[١] بن جعفر بن حفص، عن يوسف بن موسى، قال حدَّثنا وكيع قال: حدَّثنا أبو بكر الهذلي، عن الحسن: «وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا»[٢] قال أبو جعفر[٣]: وهذا أصحُّ قولٍ وأحسنه، لا يدري ﷺ ما يَلحقه وإياهم من مرضٍ وصحَّة، ورُخصٍ وغلاء، وغنًى وفقر. ومثله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وذكر الواحديُّ وغيره، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: لمَّا اشتد البلاءُ بأصحاب رسولِ الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرضٍ ذات نخلٍ وشجر وماء، فقصَّها على أصحابه، فاستبشروا بذلك، ورأوا فيها فَرَجاً ممَّا هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مَكَثوا بُرْهةً لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله، متى نُهاجر إلى الأرض التي رأيتَ؟ فسكت النبيُّ ﷺ، فأنزَل اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ أي: لا أدري أأخرجُ إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا. ثم قال: «إنما هو شيء رأيتُه في منامي ما أتبع إلا ما يُوحَى إليَّ»[٤] أي: لم يوح إليَّ ما أخبرتكم به. قال القُشَيريُّ: فعلى هذا لا نسخَ في الآية. وقيل: المعنى: لا أدري ما

---

(١) في النسخ: كما قرأ علي بن محمد، والمثبت من الناسخ والمنسوخ للنحاس.

(٢) وأخرجه أيضاً الطبري ٢١/ ١٢٢ - ١٢٣ مطولاً، وسيأتي قريباً.

(٣) في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦٢٩.

(٤) أسباب النزول للواحدي ص ٤٠١. وإسناده ضعيف، وذكره عن ابن عباس - أيضاً - البغوي في تفسيره ٤/ ١٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٢، والرازي ٢٨/ ٨، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٥ عنه مختصراً، وأبو الليث السمرقندي ٣/ ٢٣٠ عن الكلبي.

يُفْرَض عليَّ وعليكم من الفرائض.

واختار الطبريُّ[١] أن يكون المعنى: ما أدري ما يَصيرُ إليه أمري وأمرُكم في الدنيا، أتؤمنون أم تكفرون، أم تُعاجَلون بالعذاب أم تؤخَّرون.

قلت: وهو معنى قولِ الحسن والسُّدِّيِّ وغيرِهما. قال الحسن: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أما في الآخرة فَمَعاذَ الله! قد عُلم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: ما أدري ما يفعل بي في الدنيا أَأُخرج كما أُخرجت الأنبياء قبلي، أو أُقتل كما قُتلت الأنبياء قبلي؛ ولا أدري ما يفعل بكم، أَأُمَّتي المصدِّقة أم المكذِّبة، أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قَذْفاً، أو مخسوفٌ بها خَسْفاً؛ ثم نزلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨]. يقول: سيُظهر دينَه على الأديان. ثم قال في أمته: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]. فأخبرَه تعالى بما يصنع به وبأمته[٢].

ولا نسخَ على هذا كلِّه، والحمدُ لله. وقال الضحاك أيضاً: «ما أدري ما يفعل بي ولا بكم» أي: ما تؤمرون به وتنهون عنه[٣]. وقيل: أمرَ النبيُّ ﷺ أن يقول للمؤمنين: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة، ثم بيَّن اللهُ تعالى ذلك في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وبيَّن فيما بعد ذلك حالَ المؤمنين، ثم بيَّن حالَ الكافرين[٤].

قلت: وهذا معنى القول الأوّل، إلا أنه أطلَق فيه النسخَ بمعنى البيان، وأنه أمَرَ أن يقول ذلك للمؤمنين، والصحيحُ ما ذكرناه عن الحسن وغيرِه.

---

(١) في تفسيره ٢١/ ١٢٣ ، والقول الذي قبله منه .

(٢) أخرجه الطبري ٢١/ ١٢٢ ، وفي إسناده أبو بكر الهذلي؛ قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: أخباري متروك الحديث.

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٧٣ ، والرازي في تفسيره ٢٨/ ٨ ، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٤ دون نسبة .

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١٢٠ .

و«ما» في ﴿مَا يُفْعَلُ﴾: يَجوز أن تكون موصولةً، وأن تكون استفهامية مرفوعة. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وقرئ: «يُوحِي» أي: اللهُ عزَّ وجلَّ[١]. تقدَّم في غير موضع.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن. ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ وقال الشعبيُّ: المرادُ محمدٌ ﷺ[٢]. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: هو عبدُ الله بن سَلَام، شهِدَ على اليهود أن رسولَ الله ﷺ مذكورٌ في التوراة، وأنه نبيٌّ من عند الله[٣].

وفي الترمذي[٤] عنه: ونَزَلت فيَّ آياتٌ من كتاب الله، نزلت فيَّ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقد تقدَّم في آخر سورة الرعد[٥].

وقال مسروق: هو موسى والتوراة، لا ابنُ سَلَام؛ لأنه أسلَم بالمدينة، والسورةُ مكيةٌ. وقال: وقوله: ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ مخاطبة لقريش.

الشعبيُّ: هو مَن آمن مِن بني إسرائيل بموسى والتوراة؛ لأن ابن سَلَام إنما أسلَم قبل وفاة النبيِّ ﷺ بعامين، والسورةُ مكية[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١٨، وذكر القراءة أيضاً أبو حيان في البحر ٨/ ٧٥، وهي قراءة شاذة.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٧٣.

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٥٩٣، وتفسير الطبري ٢١/ ١٢٨-١٣٠، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٢١٥، والنكت والعيون ٥/ ٢٧٣.

(٤) برقم (٣٢٥٦).

(٥) ١٢/ ٩٨.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٧٣، وبنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ١٢٥ - ١٢٦.

قال القُشَيْرِيُّ: ومن قال: الشاهدُ موسى، قال: السورة مكية، وأسلَم ابنُ سَلَام قبلَ موتِ النبيِّ ﷺ بعامين[١]. ويجوز أن تكون الآيةُ نَزَلت بالمدينة وتوضع في سورةٍ مكية؛ فإن الآية كانت تنزل فيقول النبيُّ ﷺ ضعوها في سورة كذا[٢].

والآيةُ في مُحاجَّة المشركين، ووجهُ الحجَّة أنهم كانوا يراجعون اليهودَ في أشياء، أي: شهادتهم لهم وشهادة نبيِّهم لي من أوضح الحجج. ولا يبعد أن تكون السورةُ في مُحاجَّة اليهود، ولمَّا جاء ابن سَلَام مُسْلِمًا من قبل أن تعلم اليهود بإسلامه قال: يا رسولَ الله، اجعلني حَكَماً بينك وبين اليهود، فسألهم عنه: «أيُّ رجلٍ هو فيكم؟» قالوا: سَيِّدُنا وعالِمُنا. فقال: «إنه قد آمن بي» فأساؤوا القولَ فيه... الحديث، وقد تقدَّم[٣]. قال ابن عباس: رضيَت اليهودُ بحكم ابن سلام، وقالت للنبيِّ ﷺ: إن يشهد لك آمنَّا بك؛ فسئل فشهِد ثم أسلَم[٤]. ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: على مثل ما جئتكم به، فشهِد موسى على التوراة، ومحمدٌ على القرآن. وقال الجُرْجَانيُّ. «مِثْل» صلة، أي: وشهد شاهدٌ عليه أنه من عند الله. ﴿فَـَٔامَنَ﴾ أي: هذا الشاهد. ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم عن الإيمان. وجوابُ «إِنْ كَانَ» محذوفٌ تقديره: فآمن، أتؤمنون؟ قاله الزجاج[٥].

وقيل: «فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ» أليس قد ظلمتم؟ يبيِّنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقيل: «فَآمَنَ واسْتَكْبَرْتُمْ» أفتأمنون عذابَ الله؟[٦]. و«أَرَأَيْتُمْ» لفظٌ موضوع للسؤال والاستفهام؛ ولذلك لا يقتضي مفعولاً. وحكى النقاشُ وغيره: أن في الآية تقديماً وتأخيراً، وتقديره: قل أرأيتم إن كان من عند الله وشهِد شاهدٌ من بني إسرائيل فآمن هو وكفرتم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين[٧].

---

(١) سلف قول القشيري هذا ١٢/ ٩٩ .

(٢) ذكر هذا القول الرازيُّ في تفسيره ٢٨/ ١٠ عن الكلبي .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٢٠٥٧) ، والبخاري (٣٣٢٩) من حديث أنس ﷺ بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ١٢٧ - ١٢٨ بنحوه .

(٥) في معاني القرآن له ٤/ ٤٤٠ ، وذكر هذا الكلام البغويُّ في تفسيره ٤/ ١٦٥ .

(٦) الوسيط ٤/ ١٠٤ - ١٠٥ ، وزاد المسير ٧/ ٣٧٤ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٢٧٤ .

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ اختلف في سبب نزولها على ستة أقوال:

الأوّل: أنَّ أبا ذَرٍّ الغفاريَّ دعاه النبيُّ ﷺ إلى الإسلام بمكة فأجاب، واستجار به قومُه، فأتاه زعيمُهم فأسلَم، ثم دعاهم الزعيمُ فأسلَموا، فبلغَ ذلك قريشاً، فقالوا: غفارٌ الحلفاء لو كان هذا خيراً ما سَبقونا إليه؛ فنزلَت هذه الآيةُ، قاله أبو المتوكل[١].

الثاني: أن زِنّيرة أسلَمت فأصيب بصرُها، فقالوا لها: أصابك اللاتُ والعزَّى؛ فردَّ اللهُ عليها بصرَها. فقال عظماء قريش: لو كان ما جاء به محمدٌ خيراً ما سبقتْنا إليه زِنّيرة؛ فأنزَل اللهُ تعالى هذه الآية؛ قاله عروة بنُ الزبير[٢].

الثالث: أن الذين كفَروا هم بنو عامر، وغَطَفان، وتميم، وأسَد، وحَنْظَلة، وأشْجَع، قالوا لمن أسلَم مِن غِفار وأسلَم وجُهينة ومُزينة وخزاعة: لو كان ما جاء به محمدٌ خيراً ما سبقتنا إليه رُعَاةُ الْبَهْم؛ إذ نحن أعزُّ منهم؛ قاله الكلبيُّ والزَّجَّاج[٣]، وحكاه القُشَيْريُّ عن ابن عباس.

وقال قتادة: نزَلت في مشركي قريش، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه مُحمدٌ خيراً ما

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٧٤ ، وزاد المسير ٧/ ٣٧٥ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٧٤ ، وأخرج نحوه الواحدي في الوسيط ٤/ ١٠٥ عن أبي الزناد ، عن أبيه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٥ عن أبي الزناد ، دون ذكر زِنّيرة .

وزِنيرة هي مولاة أبي بكر الصديق ﷺ وهي أحد السبعة الذين كانوا يعذَّبون في الله ، فاشتراهم أبو بكر ، وأعتقهم . ينظر الاستيعاب على هامش الإصابة ١٣/ ١٤ - ١٥ .

(٣) في معاني القرآن له ٤/ ٤٤٠ ، وذكره أيضاً الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٧٤ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٦٦ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٥ دون ذكر تميم وحنظلة وخزاعة .

سبقنا إليه بِلال وصُهيب وعَمَّار وفلانٌ وفلان[١]. وهو القول الرابع.

القول الخامس: أن الذين كفروا من اليهود قالوا للذين آمنوا ـ يعني عبد الله بن سلام وأصحابه ـ: لو كان دين محمد حقًّا ما سبقونا إليه؛ قاله أكثر المفسرين، حكاه الثعلبيُّ[٢].

وقال مسروقٌ: إن الكفار قالوا: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه اليهود؛ فنزلت هذه الآية.

وهذه المعارضةُ من الكفار في قولهم: لو كان خيراً ما سبقونا إليه من أكبرِ المعارضات بانقلابها عليهم لكلٍّ من خالَفهم؛ حتى يقال لهم: لو كان ما أنتم عليه خيراً ما عدلنا عنه، ولو كان تكذيبكم للرسول خيراً ما سبقتمونا إليه؛ ذكره الماورديُّ[٣].

ثم قيل: قوله: ﴿مَا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ﴾ يجوز أن يكون من قول الكفار لبعض المؤمنين، ويجوز أن يكون على الخروج من الخطاب إلى الغيبة؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[٤] [يونس: ٢٢]. ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ يعني الإيمان. وقيل: القرآن. وقيل: محمد ﷺ. ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: لمَّا لم يصيبوا الهدى بالقرآن ولا بمن جاء به؛ عادَوْه ونسبُوه إلى الكذب، وقالوا: هذا إفك قديمٌ؛ كما قالوا: أساطير الأوَّلين[٥]. وقيل لبعضهم: هل في القرآن: مَن جَهِل شيئاً عاداه؟ فقال: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ ومثله:

---

(١) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٦١ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٥ ، وأخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٢١٦ ، والطبري ٢١/ ١٣٢ - ١٣٣ ، وينظر ما سلف ١٥/ ٣٩١ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٩٥ .

(٣) في النكت والعيون ٥/ ٢٧٤ - ٢٧٥ ، وقول مسروق هو القول السادس .

(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ١١ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٦٦ بنحوه .

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ أي: ومن قبل القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا﴾ يقتدى بما فيه ﴿وَرَحْمَةً﴾ من اللهِ. وفي الكلام حذفٌ؛ أي: فلم يهتدوا به. وذلك أنه كان في التوراة نعتُ النبيِّ ﷺ والإيمانُ به، فتركوا ذلك. و«إِمَامًا» نصب على الحال؛ لأن المعنى: وتقدَّمه كتابُ موسى إماماً. «وَرَحْمَةً» معطوف عليه. وقيل: انتصب بإضمار فعلٍ، أي: أنزلناه إماماً ورحمة[1]. وقال الأخفش[2]: على القطع؛ لأن كتاب موسى معرفةٌ بالإضافة؛ لأن النكرة إذا أعيدت أو أُضيفت أو أدخل عليها ألف ولام صارت معرفةً. ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ﴾ يعني القرآن ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ يعني للتوراةِ ولِمَا قبلَه من الكتب. وقيل: مصدِّق للنبيِّ ﷺ. ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب على الحال؛ أي: مصدِّق لِمَا قبلَه عربيًّا، و﴿لِّسَانًا﴾ توطئة للحال، أي: تأكيد؛ كقولهم: جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً، فتذكر رجلاً توكيداً[3]. وقيل: نصب بإضمار فعل تقديره: وهذا كتابٌ مصدِّق؛ أعني لساناً عربيًّا. وقيل: نصب بإسقاط حرفِ الخفض تقديره: بلسانٍ عربيٍّ. وقيل: إن لساناً مفعول، والمراد به النبيُّ ﷺ، أي: وهذا كتاب مصدِّقٌ للنبيِّ ﷺ لأنه معجزته؛ والتقدير: مصدِّق ذا لسان عربيٍّ. فاللسان منصوب بمصدِّق، وهو النبيُّ ﷺ. ويبعد أن يكون اللسان القرآنَ؛ لأن المعنى يكون يصدِّق نفسَه[4]. ﴿لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قراءة العامة: «لِيُنْذِرَ» بالياء خبرٌ عن الكتاب، أي: لينذر الذين ظلموا أنفسَهم بالكفر والمعصية.

---

(١) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٠ - ٤٤١ ، والوسيط ٤/ ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) ينظر كلامه في معاني القرآن له ٢/ ٦٩٣ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤١ ، والوسيط ٤/ ١٠٦ .

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١٣٤ ، وبنحوه في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩٣ .

وقيل: هو خبرٌ عن الرسول ﷺ. وقرأ نافعٌ وابن عامر والبَزِّيُّ: بالتاء[١]، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ على خطاب النبيِّ ﷺ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]. ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ «بُشْرَى» في موضع رفع[٢]، أي: وهو بشرى. وقيل: عطفاً على الكتاب، أي: وهذا كتاب مصدِّقٌ وبشرى. ويجوز أن يكون منصوباً بإسقاط حرف الخفض، أي: لينذر الذين ظلَموا، وللبشرى؛ فلمَّا حذف الخافض نصب. وقيل: على المصدر، أي: وتبشر المحسنين بشرى، فلمَّا جعل مكان وتبشر بشرى أو بشارة؛ نصب؛ كما تقول: أتيتك لأَزورَك، وكرامةً لك وقضاءً لحقك؛ يعني لأزورك وأكرمك وأقضي حقَّك؛ فنصب الكرامة بفعلٍ مضمر[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الآية تقدَّم معناها[٤]. وقال ابن عباس: نزلت في أبي بكر الصدِّيق[٥]. والآية تعمُّ. ﴿جَزَآءًۢ﴾ نصب على المصدر[٦].

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

فيه سبع مسائل:

---

(١) السبعة ص٥٩٦ ، والتيسير ص١٩٩ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٦٢ ، وينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٢٧١ .

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ١٣٥ ، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٥١ - ٥٢ .

(٤) عند تفسير الآية (٣٠) من سورة فصلت.

(٥) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٣٢ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ لابن عساكر .

(٦) إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٣٢٠ على هامش الفتوحات الإلهية .

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ بيَّن اختلافَ حالِ الإنسان مع أبويه، فقد يُطيعهما وقد يُخالفهما، أي: فلا يَبعُد مثلُ هذا في حقِّ النبيِّ ﷺ وقومِه حتى يَستجيب له البعضُ ويَكفُر البعض. فهذا وجهُ اتصال الكلام بعضه ببعض؛ قاله القشيريُّ[١].

الثانية: قوله تعالى: ﴿حُسْنًا﴾ قراءة العامة: «حُسْنًا» وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشامِ. وقرَأ ابن عباس والكوفيون: «إِحْسَاناً» وحُجتهم قوله تعالى في سورة الأنعام [الآية: ١٥١] وبني إسرائيل [الآية: ٢٣]: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وكذا هو في مصاحف الكوفة.

وحجةُ القراءة الأولى قولُه تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٢] [الآية: ٨]، ولم يختلفوا فيها. والحُسْن خلاف القُبْح. والإحسان خلاف الإساءة[٣]. والتوصية: الأمر. وقد مضى القول في هذا وفيمن نزلت[٤].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: بكرهٍ ومشقَّة[٥]. وقراءة العامة بفتح الكاف. واختاره أبو عبيد، قال: وكذلك لفظ الكره في كلِّ القرآن ـ بالفتح ـ إلا التي في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: ٢١٦] لأن ذلك اسمٌ، وهذه كلُّها مصادر. وقرَأ الكوفيون: «كُرْهًا» بالضم[٦]. قيل: هما لغتان مثل الضُّعْف والضَّعْف، والشُّهْد والشَّهْد[٧]؛ قاله الكسائيُّ، وكذلك

---

(١) بعدها في (ظ) زيادة: وقتادة.

(٢) قرأ: «إحساناً» عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون من السبعة: «حسناً» السبعة ص٥٩٦، والتيسير ص١٩٩، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٥٢، والطبري ٢١/ ١٣٦ - ١٣٧.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ١٤.

(٤) ١٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٥) تفسير الطبري ٢١/ ١٣٧.

(٦) قرأ بالضم عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر في رواية ابن ذكوان، والباقون من السبعة؛ بالفتح. السبعة ص ٥٩٦، والتيسير ص ١٩٩.

(٧) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٢٨/ ١٤.

هو عند جميع البصريين. وقال الكسائيُّ أيضاً والفرَّاء في الفرْق بينهما: إن الكُره ـ بالضم ـ ما حمل الإنسان على نفسه، وبالفتح ما حمل على غيره[١]؛ أي: قهْراً وغَضَباً؛ ولهذا قال بعض أهل العربية: إن كَرهاً ـ بفتح الكاف ـ لَحنٌ[٢].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ قال ابن عباس: إذا حَمَلَت تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهرًا، وإن حملَت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً[٣].

وروي أن عثمان قد أتي بامرأةٍ قد ولدت لستة أشهر، فأراد أن يقضي عليها بالحدِّ؛ فقال له عليٌّ ﷺ: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالرضاع أربعة وعشرون شهراً، والحمل ستة أشهر، فرجع عثمان عن قوله ولم يحدَّها[٤]، وقد مضى في «البقرة»[٥].

وقيل: لم يعدَّ ثلاثة أشهر في ابتداء الحمل؛ لأن الولد فيها نطفةٌ وعلقة ومضغة، فلا يكون له ثِقَل يُحسُّ به، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾[٦] [الأعراف: ١٨٩]. والفِصالُ: الفِطام. وقد تقدَّم في «لقمان» الكلامُ فيه[٧].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٧٦.

(٢) وقال صاحب هذا القول: لو حملته كَرهاً لَرَمَتْ به عن نفسها، لأن الكَره القهرُ والغضبُ. وذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٦٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٧. ورده أبو جعفر النحاس بأن الكَره والكُره لغتان بمعنى واحد.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٧٦، والواحدي في الوسيط ٤/ ١٠٧، وسلف ٤/ ١١٠ - ١١١.

(٤) سلفت ص٩٠ من هذا الجزء.

(٥) الذي مضى الكلام عن أحكام الرضاع ٤/ ١٠٦ وما بعد.

(٦) تفسير الرازي ٢٨/ ١٤.

(٧) ١٦/ ٤٧٤.

وقرأ الحسنُ ويعقوب وغيرهما: «وفَصْله» بفتح الفاء وسكون الصاد[١].

وروي أن الآية نَزَلت في أبي بكر الصدِّيق، وكان حملُه وفصاله في ثلاثين شهراً[٢]، حملته أمه تسعةَ أشهر، وأرضعته إحدى وعشرين شهراً.

وفي الكلام إضمارٌ، أي: ومدُّة حملِه ومدُّة فصاله ثلاثون شهراً، ولولا هذا الإضمارُ لنصب ثلاثون على الظرف وتغيَّر المعنى[٣].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال ابن عباس: ثماني عشرة سنة[٤]. وقال في رواية عطاء عنه: إن أبا بكر صحب النبيَّ ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبيّ ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشامَ للتجارة، فنَزلوا منزِلاً فيه سدرة، فقعد النبيُّ ﷺ في ظلِّها، ومضى أبو بكر إلى راهبٍ هناك، فسأله عن الدِّين. فقال الراهب: مَن الرجل الذي في ظلِّ الشجرة؟ فقال: ذاك محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلب. فقال: هذا واللهِ نبيٌّ، وما استظلَّ أحدٌ تحتَها بعد عيسى. فوقَع في قلب أبي بكر اليقينُ والتصديق؛ وكان لا يَكاد يُفارِق رسولَ الله ﷺ في أسفاره وحضَرِه. فلما نُبِّئَ رسولُ الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، صدَّق أبو بكر ﷺ رسولَ الله ﷺ وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة. فلمَّا بلَغ أربعين سنة قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾[٥] الآية. وقال الشعبيُّ وابن زيد: الأشُدُّ: الحُلُم[٦]. وقال الحسن: هو

---

(١) ذكر قراءة الحسن النحاسُ في إعراب القرآن ٤/ ١٦٤ ، وابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٧ ، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٢٧٩ وهي من العشرة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ١٠٧ بنحوه ، وأخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٥٣ عن الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، دون قوله : «وكان حمله وفصاله في ثلاثين شهراً..» .

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٦ ، وينظر إملاء ما به بن الرحمن ٤/ ٣٢٠ على هامش الفتوحات .

(٤) لم نقف عليه، وأخرج الطبري ١٣/ ٦٧ - ٦٨ عنه أنه بضع وثلاثون، ثم قال: وروي عن ابن عباس من وجه غير مرضيٍّ أنه قال : ما بين ثماني عشرة سنةً إلى ثلاثين .

(٥) أسباب النزول للواحدي ص٤٠١-٤٠٢ ، وزاد المسير ٧/ ٣٧٧ - ٣٧٨ ، وأشار الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ٢٩٤ (ترجمة بحيرا) إلى ضعفه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره عنهما ٩/ ٦٦٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٩ (٨٠٨٨) عن الشعبي ، وسلف ٩/ ١١٢ من قول ابن زيد .

بلوغ الأربعين[١]. وعنه: قيام الحجة عليه. وقد مضى في «الأنعام»[٢] الكلامُ في الآية. وقال السّدِّي والضحاك: نزلَت في سعد بن أبي وقاص. وقد تقدم[٣]. وقال الحسن: هي مرسَلة نزلَت على العموم[٤]. واللهُ أعلم.

السادسة: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أي: ألهمني. ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ في موضع نصب على المصدر، أي: شُكْرَ نعمتِك ﴿عَلَيَّ﴾ أي: ما أنعمتَ به عليَّ من الهداية ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ بالتحنُّن والشفقة حتى ربَّياني صغيراً. وقيل: أنعمتَ عليَّ بالصحَّة والعافية، وعلى والديَّ بالغنى والثَّروة[٥].

وقال عليٌّ ﷺ: هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدِّيق ﷺ؛ أسلَم أبواه جميعاً، ولم يَجتمع لأحدٍ من المهاجرين [أن][٦] أسلم أبواه غيرُه، فأوصاه اللهُ بهما، ولزِم ذلك مَن بعده[٧]. ووالدُه: هو أبو قُحافة عثمانُ بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعدِ بن تَيْم[٨]. وأمُّه: أمُّ الخير، واسمها سَلْمَى بنت صخر بن عامر[٩] بن كعب بن سعد[١٠]. وأم أبيه أبي قحافة: قَيْلة، بالياء المعجمة باثنتين من تحتها[١١]، وامرأة أبي

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٩ (٨٠٨٧).

(٢) ٩/ ١١١ وما بعد.

(٣) ١٦/ ٤٧٣.

(٤) زاد المسير ٧/ ٣٧٨.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٧٧.

(٦) لفظة أن من (م).

(٧) الوسيط ٤/ ١٠٧، وتفسير البغوي ٤/ ١٦٧.

(٨) الاستيعاب ١٢/ ٩٢ على هامش الإصابة، والتعريف والإعلام للسهيلي ص ١٥٦.

(٩) في (د) و(ز) و(ظ): عمرو.

(١٠) الاستيعاب على هامش الإصابة ١٣/ ٢١٦، وفي الإصابة ١٢/ ٣١٠ و١٣/ ٢٠٣: بنت صخر بن عامر ابن كعب...، وقيل: بنت صخر بن عمرو بن عامر القرشية.

(١١) ذكر ابن ماكولا في الإكمال ٧/ ١٣٠: أن اسمها: قيلة بنت أذة بن رياح..، وقال ابن حجر في الإصابة ٦/ ٣٨٩: أمه: آمنة بنت عبد العزى العدوية، عديّ قريش، وقيل: اسمها: قيلة..

بكر الصديق اسمُها قَتْلَة[١] ـ بالتاء المعجمة باثنتين من فوقها ـ بنتُ عبد العُزَّى.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ قال ابن عباس: فأجابه اللهُ، فأعتَق تسعةً من المؤمنين يعذَّبون في الله، منهم بلال وعامر بن فُهيرة؛ ولم يدَع شيئاً من الخير إلا أعانَه اللهُ عليه[٢].

وفي الصحيح[٣] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أَصبَح منكم اليوم صَائماً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فَمن تَبع منكم اليوم جَنَازةً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن أطعَم منكم اليوم مِسْكِيناً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مَريضاً؟» قال أبو بكر: أنا. قال رسولُ الله ﷺ: «ما اجتَمَعن في امرئ إلا دخَل الجَنَّةَ».

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ أي: اجعل ذرِّيَّتي صالحين[٤]. قال ابن عباس: فلم يبقَ له ولدٌ ولا والد ولا والدة إلا آمَنوا بالله وحدَه[٥]. ولم يكن أحدٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ أسلَم هو وأبواه وأولادُه وبناته كلُّهم إلا أبو بكر[٦].

وقال سهل بن عبد الله: المعنى اجعلْهم لي خَلَف صِدقٍ، ولك عبيدَ حقٍّ. وقال أبو عثمان: اجعلهم أبراراً لي مطيعين لك. وقال ابن عطاء: وفقهم لصالح أعمالٍ ترضى بها عنهم. وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفْس والهوى عليهم سبيلاً[٧]. وقال مالك بن مِغول[٨]: اشتكى أبو معشر ابنَه إلى طلحة بن مُصَرِّف؛

---

(١) في (م): قتيلة، وهو صحيح أيضاً؛ توضيح المشتبه ٧/ ١٤٤ .

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ١٠٧-١٠٨ ، وزاد المسير ٧/ ٣٨٧ . وقد سمَّى ابن هشام في السيرة ١/ ٣١٨ - ٣١٩ سبعة ممن أعتقهم أبو بكر ﷺ.

(٣) صحيح مسلم (١٠٢٨) .

(٤) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٣٢ .

(٥) الوسيط ٤/ ١٠٨ .

(٦) زاد المسير ٧/ ٣٨٧ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٢٧٨ .

(٨) في (م) مقول ، وهو خطأ.

فقال: استعِن عليه بهذه الآية؛ وتلا: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: رجعْتُ عن الأمر الذي كنتُ عليه[٢]. ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المخلِصين بالتوحيد[٣].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ قراءة العامة بضم الياء فيهما. وقرئ: «يَتَقَبَّلُ، وَيَتَجاوزُ» بفتح الياء[٤]؛ والضمير فيهما يرجعُ لِله عزَّ وجلَّ. وقرَأ حفص وحمزة والكسائيُّ: «نَتَقَبَّلُ، ونَتَجاوَزُ» بالنون فيهما[٥]، أي: نغفرها ونصفح عنها. والتجاوزُ أصلُه من جزت الشيءَ: إذا لم تقف عليه. وهذه الآيةُ تدلُّ على أن الآية التي قبلها ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إلى آخرها مرسلةٌ نزلَت على العموم. وهو قول الحسن[٦].

ومعنى «نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ» أي: نتقبل منهم الحسنات، ونتجاوزُ عن السيئات. قال زيد ابن أسلم ـ ويحكيه مرفوعاً ـ: إنهم إذا أسلموا قُبلت حسناتُهم وغُفرت سيئاتُهم. وقيل: الأحسن ما يَقتضي الثواب من الطاعات، وليس في الحسن المباح ثواب ولا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٤١ ، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٩ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٧٨ .

(٣) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٣٢ .

(٤) هي قراءة عيسى والأعمش كما في القراءات الشاذة ص ١٣٩ ، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٩ لأبي المتوكل وأبي رجاء وأبي عمران الجوني ، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٨ للحسن.

(٥) وقرأ الباقون من السبعة بالياء، كما سلف، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص٥٩٧ ، والتيسير ص١٩٩ .

(٦) سلف قوله ص١٩٧ من هذا الجزء.

عقاب؛ حكاه ابن عيسى[١]. ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ «في» بمعنى مع[٢]، أي: مع أصحاب الجنة، تقول: أكرمك وأحسن إليك في جميع أهل البلد، أي: مع جميعهم[٣].

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ نصب لأنه مصدرٌ مؤكد لمَا قبله؛ أي: وعد الله أهلَ الإيمان أن يَتقبل من مُحسنهم ويتجاوزَ عن مسيئهم وعد الصدق[٤]. وهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه؛ لأن الصدقَ هو ذلك الوعدُ الذي وعده اللهُ؛ وهو كقوله تعالى: ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الحجر: ٩٩] وهذا عند الكوفيين، فأما عند البصريين فتقديره: وَعْد الكلامِ الصدق أو الكتابِ الصدق، فحذف الموصوف. وقد مضى هذا في غير موضع[٥]. ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا على ألسنة الرسل؛ وذلك الجنة[٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أي: أن أُبعثَ[٧]. ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ قراءة نافعٍ وحفص وغيرِهما: «أُفٍّ» مكسور منوَّن. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وابن عامر والمفضَّل عن عاصم: «أُفَّ» بالفتح من غير تنوين. الباقون بالكسر غير منوَّن[٨]؛ وكلُّها لغات، وقد مضى في «بني إسرائيل»[٩].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٧٩، ولم نقف على قول زيد بن أسلم مرفوعاً.

(٢) زاد المسير ٧/ ٣٧٩.

(٣) الكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٥٢١.

(٤) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٣.

(٥) ١٢/ ١٢٨.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٧٩.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٢٧٩.

(٨) وقرأ عاصم في رواية حفص: أُفٍّ، بالكسر منون، وقرأ في رواية شعبة: أُفَّ. السبعة ص ٥٩٧، والتيسير ص ١٣٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٩.

(٩) ١٣/ ٥٧.

وقراءة العامة: «أَتَعِدَانِنِي» بنونين مخففتين. وفتح ياءه أهلُ المدينة ومكة. وأسكن الباقون. وقرَأ أبو حيوة والمغيرة وهشام: «أَتَعِدَانِّي» بنون واحدة مشدَّدة، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام[١]. والعامة على ضم الألف وفتح الراء من «أَنْ أُخْرَجَ». وقرأ الحسن ونصر وأبو العالية والأعمش وأبو معمر بفتح الألف وضم الراء[٢].

قال ابن عباس والسُّدِّي وأبو العالية ومجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما، وكان يَدعوه أبواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله عزَّ وجلَّ[٣]. وقال قتادة والسديُّ أيضاً: هو عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، وكان أبوه وأمه أمُّ رومان يَدعوانه إلى الإسلام ويَعدانه بالبعث؛ فيردُّ عليهما بما حكاه الله عزَّ وجلَّ عنه؛ وكان هذا منه قبل إسلامه[٤].

وروي أن عائشة رضي الله عنها أنكرت أن تكون نزلت في عبد الرحمن[٥]. وقال الحسن وقتادة أيضاً: هي نعتُ عبدٍ كافرٍ عاقٍّ لوالديه[٦]. وقال الزجاج[٧]: كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ﴾ أي: العذاب، ومن ضرورته عدمُ الإيمان، وعبدُ الرحمن من أفاضل المؤمنين؛ فالصحيحُ أنها نزلت في عبدٍ كافر عاقٍّ لوالديه.

---

(١) التيسير ص ١٩٩ .

(٢) ذكرها عن الحسن ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣٩ ، وعن الأعمش ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٩ .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٨٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٨٠ عن مجاهد .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٧٩ - ٢٨٠ عن السدي ، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢١٩ عن قتادة والكلبي .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢١٩ . وأخرج البخاري في صحيحه (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهَك ... فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن ، إلا أن الله أنزل عذري .

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٢١/ ١٤٥ .

(٧) في معاني القرآن له ٤/ ٤٤٣ - ٤٤٤ ، ونقله عنه بواسطة الواحدي في الوسيط ٤/ ١٠٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٨٠ .

وقال محمد بن زياد: كتب معاوية إلى مروان بن الحكم حتى يبايعَ الناسُ ليزيد؛ فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هِرَقْلِيَّةً، أتبايعون لأبنائكم! فقال مروان: هو الذي يقول الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الآية. فقال: واللهِ ما هو به، ولو شئتُ لسمَّيت، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فَضَض من لعنة الله[1].

قال المهدويُّ: ومن جعل الآيةَ في عبد الرحمن كان قوله بعد ذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يراد به من اعتقد ما تقدَّم ذِكره؛ فأول الآية خاصٌّ وآخرها عام[2].

وقيل: إن عبد الرحمن لمَّا قال: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ قال مع ذلك: فأين عبدُ الله بن جُدْعان، وأين عثمان بن عمرو، وأين عامر بنُ كعب ومشايخ قريش حتى أسألَهم عمَّا يقولون[3]. فقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يرجعُ إلى أولئك الأقوام.

قلت: قد مضى من خبر عبد الرحمن بن أبي بكر في سورة الأنعام[4] عند قوله: ﴿لَهُۥ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ [الآية: ٧١] ما يدلُّ على نزول هذه الآية فيه؛ إذ كان كافراً، وعند إسلامه وفضله تعيَّن أنه ليس المراد بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٢٧)، والحاكم ٢/ ٤٨١ عن محمد بن زياد الجمحي، وقوله: لقد جئتم بها هرقلية. أراد أن البيعة لأولاد الملوك سنة ملوك الروم والعجم. وهرقل: اسم ملِك الروم. النهاية (هرقل). وقوله: «فأنت فضض من لعنة الله» أراد قطعة وطائفة منها. النهاية (فضض).

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح ٨/ ٥٧٧ أن القول في عبد الرحمن ضعيف؛ كالقول في عبد الله، وأن نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول.

(٣) في (د) و(ظ): فأين عبد الرحمن بن جذعان، وابن عثمان بن عمرو، وابن عامر بن كعب..، وذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٥٤، والواحدي في الوسيط ٤/ ١٠٩، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٢١ - ٥٢٢ ولفظه عند الفراء: ابن جدعان بن عمرو، وعثمان بن عمرو وهما من أجداده، وبنحوه عند الزمخشري.

(٤) ٨/ ٤٢٨.

﴿وَهُمَا﴾ يعني والديه. ﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي: يدعوان اللهَ له بالهداية[١]. أو يستغيثان بالله من كفره؛ فلمَّا حذف الجارّ وصل الفعل فنصب. وقيل: الاستغاثة: الدعاء؛ فلا حاجةَ إلى الباء[٢]. قال الفرَّاء: أجاب الله دعاءَه وغُواثه.

﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ أي: صدِّق بالبعث. ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: صِدْقٌ لا خُلْفَ فيه. ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ أي: ما يقوله والداه. ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أحاديثهم وما سطروه مما لا أصلَ له.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يعني الذين أشار إليهم ابن أبي بكر في قوله: أحْيُوا لي مشايخَ قريش، وهم المعنيُّون بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾. فأما ابن أبي بكر عبدُ الله أو عبدُ الرحمن فقد أجاب اللهُ فيه دعاءَ أبيه في قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ على ما تقدَّم[٣].

ومعنى «حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أي: وجب عليهم العذابُ، وهي كلمة اللهِ: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»[٤]. ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: مع أمم. ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: تقدَّمت ومضت. ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الكافرين ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: تلك الأممُ الكافرة ﴿كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ لأعمالهم؛ أي: ضاع سعيهم وخسِروا الجنةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ولكلٍّ واحدٍ من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجِنِّ والإنس مراتبُ عند الله يومَ القيامة بأعمالهم. قال ابن زيد: درجاتُ أهل النار في هذه الآية تذهبُ سَفالاً، ودَرجُ أهل الجنة عُلُوًّا[٥]. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ

(١) الوسيط ٤/ ١٠٩.

(٢) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٤.

(٣) ص١٩٨ من هذا الجزء.

(٤) سلف ٥/ ١٥.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ١٤٦.

﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وابن مُحَيْصِن وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بالياء لذِكرِ اللهِ قبلَه، وهو قولُه تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ واختاره أبو حاتم. الباقون بالنون[١] ردًّا على قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وهو اختيار أبي عبيد. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يزاد على مسيء ولا ينقص من محسن.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ أي: ذكِّرهم يا محمد يومَ يُعرض ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: يُكشَف الغطاء فيقرَّبون من النار ويَنظُرون إليها[٢]. ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: أذهبتم[٣]؛ فالقولُ مضمر. وقرَأ الحسنُ ونصر وأبو العالية ويعقوب وابن كثير: «أَأَذْهَبْتُمْ» بهمزتين مخففتين، واختاره أبو حاتم. وقرأ أبو حيوة وهشام: «آذهبتم» بهمزة واحدة مطولة على الاستفهام. الباقون بهمزة واحدة من غير مدٍّ على الخبر[٤]، وكلُّها لغاتٌ فصيحة ومعناها التوبيخ، والعَرب توبِّخُ بالاستفهام وبغير الاستفهام[٥]؛ وقد تقدَّم. واختار أبو عبيد تركَ الاستفهام؛ لأنه قراءة أكثرِ أئمة السبعة: نافع وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي، مع مَن وافقهم: شيبة والزهري وابن مُحَيْصن والمغيرة بن أبي شهاب ويحيى بن الحارث والأعمش ويحيى بن وثَّاب وغيرهم؛ فهذه عليها جِلَّةُ الناس. وتركُ الاستفهام أحسن؛ لأن إثباته يوهم أنهم لم

---

(١) وقرأ بالياء أيضاً من السبعة ابن عامر في رواية هشام، وبالنون في رواية ابن ذكوان. السبعة ص ٥٩٨، والتيسير ص ١٩٩، والنشر ٢/ ٣٧٣.

(٢) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٠.

(٤) السبعة ص٥٩٨، والتيسير ص١٩٩، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٥٤، وإعراب القرآن النحاس ٤/ ٦٦، والنشر ١/ ٣٦٦.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٥١.

يفعلوا ذلك، كما تقول: أنا ظلمتُك؟ تريد: أنا لم أظلمك. وإثباته حسنٌ أيضاً؛ يقول القائل: ذهبت فعلت كذا؛ يُوَبِّخُ ويقول: أذهبت فعلت! كلُّ ذلك جائز[١]. ومعنى «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ» أي: تمتَّعتم بالطيبات في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات؛ يعني المعاصي[٢]. ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: عذابَ الخِزْي والفضيحة. قال مجاهد[٣]: الهُون: الهَوان. قتادة: بلغة قريش.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: تستعلُون على أهلها بغير استحقاق. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ في أفعالكم بَغْيًا وظلماً. وقيل: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ» أي: أفنيتم شبابَكم في الكفر والمعاصي. قال ابنُ بحر: الطيباتُ: الشباب والقوَّةُ؛ مأخوذ من قولهم: ذهب أطيباه، أي: شبابه وقوَّتُه. قال الماورديُّ[٤]: ووجدت الضحاكَ قاله أيضاً.

قلت: القول الأوّل أظهر، روى الحسن عن الأحنف بن قيس، أنه سمع عمر بنَ الخطاب ﷺ يقول: لَأَنا أعلمُ بخفض العيش، ولو شئتُ لجعلتُ أكباداً وصلاء وصِنابًا وصَلائِقَ، ولكني أستبقي حسناتي؛ فإن اللهَ عزَّ وجلَّ وصَف أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٥].

وقال أبو عبيد في حديث عمر: لو شئتُ لدعوت بصلائق وصناب وكَرَاكِرَ وأسنمة. وفي بعض الحديث: وأفلاذٍ[٦]. قال أبو عمرو وغيرُه: الصِّلاءُ ـ بالمدّ

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٥/ ٢٨١ .

(٣) في تفسيره ٢/ ٥٩٤ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ١٤٩ - ١٥٠ .

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٢٨١ وما قبله منه سوى قوله : أي أفنيتم شبابكم ...

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٥٧) ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٨١ عن الحسن بن دينار عن الأحنف . وأخرجه بنحوه ابن المبارك في الزهد (٥٧٩) ، وابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٧٩ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٤٩ عن جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول ... وذكره .

(٦) ذكرها الزمخشري في الفائق ٢/ ٣١١ .

والكسر ـ : الشِّواء؛ سُمِّي بذلك لأنه يُصْلَى بالنار[١]. والصِّلاء أيضاً: صِلاء النار؛ فإن فتحتَ الصاد قصرت وقلت: صَلَى النارِ. والصِّنابُ: الأصبغة المتخَذة من الخردل والزَّبيب[٢]. قال أبو عمرو: ولهذا قيل للبِرذَوْن: صِنابِيٌّ؛ وإنما شُبِّه لونه بذلك. قال: والسلائق ـ بالسين ـ هو ما يسلَق من البقول وغيرها. وقال غيره: هي الصلائق بالصاد؛ قال جرير:

تُكَلِّفُنِي معيشةَ آلِ زيدٍ ... ومَن لي بالصَّلائق والصِّنابِ[٣]

والصَّلائقُ: الخبزُ الرِّقاق العريض. وقد مضى هذا المعنى في «الأعراف»[٤]. وأما الكراكِرُ فكراكر الإبلِ، واحدتها كِرْكِرَة، وهي معروفة؛ هذا قول أبي عبيد[٥]. وفي الصحاح[٦]: والكِرْكِرة: رَحَى زَوْر البعير، وهي إحدى الثَّفِنات الخمس[٧]. والكِركِرة أيضاً: الجماعةُ من الناس. وأبو مالك عمرو بن كِرْكِرة رجلٌ من علماء اللغة[٨]. قال أبو عبيد: وأما الأفلاذ فإن واحدها فِلْذ، وهي القطعة من الكَبِد. قال أَعْشَى باهلة:

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذٍ إن أَلَمَّ بها ... من الشِّواء ويُرْوي شُرْبَه الغُمَرُ[٩]

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٦٣ - ٢٦٤

(٢) الصحاح (صلي ـ صنب).

(٣) غريب الحديث ٣/ ٢٦٤، والبيت في ديوان جرير ٢/ ٨١٢.

(٤) ٩/ ٢٠٧.

(٥) في غريب الحديث ٣/ ٢٦٥.

(٦) مادة (كرر).

(٧) الزَّوْر: أعلى الصدر، والثَّفنات: جمع ثَفِنة، وهي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ، كالركبتين وغيرهما. الصحاح (زور) (ثفن).

(٨) هو أبو مالك الأعرابي، دخل الحاضرة وأخذ الناس عنه، وكان مَولى لبني سعد، ويقال: إنه كان يحفظ اللغة كلها، وكان بصري المذهب، ذكره الأزهري في التهذيب ١/ ١٢ في الطبقة الثانية من الأئمة الذين اعتمد عليهم في جمعه لكتابه ترجمته في إنباه الرواة ٢/ ٣٦٠، ومعجم الأدباء ١٦/ ١٣١ - ١٣٢.

(٩) غريب الحديث ٣/ ٢٦٥، والبيت في الأصمعيات ص ٩١، والكامل للمبرد ١/ ٤٥٩، والخزانة =

وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر ﷺ قال: لو شئتُ كنت أطيَبَكم طعاماً، وألينَكم لباساً، ولكني أستبقي طيباتي للآخرة. ولمَّا قدِم عمر الشامَ صُنع له طعامٌ لم يرَ قطُّ مثلَه؛ قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبِعوا من خبز الشعير! فقال خالد بنُ الوليد: لهم الجنة؛ فَاغْرَوْرَقَت عَيْنَا عمرَ بالدموع وقال: لئن كان حظُّنا من الدنيا هذا الحطام، وذهبوا هم في حظِّهم بالجنة فلقد باينونا بَوْنًا بعيداً[1].

وفي صحيح مسلم وغيرِه أن عمر ﷺ دخَل على النبيِّ ﷺ وهو في مَشْرُبَته حين هَجَرَ نساءه قال: فالتفتُّ فلم أرَ شيئاً يردُّ البصر إلا أُهُباً جلوداً معطونة قد سطَع ريحُها؛ فقلت: يا رسولَ الله، أنت رسولُ الله وخِيرته، وهذا كِسْرى وقَيْصر في الديباج والحرير؟ قال: فاستوى جالساً وقال: «أفي شَكٍّ أنت يا ابن الخطاب؟! أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيباتُهم في حياتهم الدنيا» فقلت: استغفر لي! فقال: «اللهم اغفر له»[2].

وقال حفص بن أبي العاص: كنت أتغدَّى عند عمر بن الخطاب رضي عنه الخبزَ والزيتَ، والخبز والخلَّ، والخبز واللبنَ، والخبز والقَدِيد، وأقلُّ ذلك اللحم الغَريض[3]. وكان يقول: لا تنخلوا الدقيقَ؛ فإنه طعامٌ كلُّه؛ فجيء بخبزٍ متفلع[4] غليظ؛ فجعل يأكل ويقول: كلوا؛ فجعلنا لا نأكل؛ فقال: ما لكم لا تأكلون؟ فقلنا: واللهِ يا أمير المؤمنين نرجع إلى طعام ألين من طعامك هذا؛ فقال: يا ابن أبي العاص، أَمَا ترى بأني عالم أن لو أمرتُ بعَناق[5] سمينةٍ فيلقى عنها شَعَرها، ثم

= ١/١٩٨، وقوله: «حُزَّة» أي: قطعة من اللحم قطعت طولاً. و«ألمَّ بها»: أصابها يعني أكلها. و«الغُمَرُ»: قَدَح صغير لا يروي. كذا في الخزانة.

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/٢١٧ مختصراً، والطبري ٢١/١٤٧ بتمامه.

(٢) صحيح مسلم (١٤٧٩): (٣٤) بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو عند الإمام أحمد (٢٢٢)، والبخاري (٤٩١٣)، وسلف بنحوه ١٨/١٩٠.

(٣) أي: الطري.

(٤) في (خ) و(ظ): متقطع، وفي (د) و(ق) متقلع. والمتفلع: هو المشقق والمقطع. القاموس (فلع).

(٥) العناق: الأنثى من أولاد المعز. القاموس (عنق).

تُخرج مَصْلِيَّةً كأنها كذا وكذا. أما ترى بأني عالِمٌ أنْ لو أمرت بصاعٍ أو صاعين من زبيب فأجعله في سقاء ثم أشنُّ عليه من الماء فيصبح كأنه دم غَزال؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أجل! ما تبعتَ[١] العيش، قال: أجل! واللهِ الذي لا إله إلا هو لولا أني أخافُ أن تنقصَ حسناتي يوم القيامة لشاركناكم في العيش! ولكني سمعتُ اللهَ تعالى يقول لأقوامٍ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٢].

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الهوان. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: تتعظمون عن طاعة الله وعلى عباد الله. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾: تَخرجون عن طاعة الله.

وقال جابر: اشتهى أهلي لحماً فاشتريته لهم فمررتُ بعمر بن الخطاب ﷺ فقال: ما هذا يا جابر؟ فأخبرته؛ فقال: أوكلَّما اشتهى أحدُكم شيئاً جعله في بطنه! أمَا يخشى أن يكون من أهل هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ الآية[٣].

قال ابن العربي[٤]: وهذا عتابٌ منه له على التوسُّع بابتياع اللحم والخروج عن جِلْف الخبز والماء؛ فإنَّ تعاطي الطيبات من الحلال تستشْرهُ لها الطباع وتستمرئها العادةُ، فإذا فَقَدَتْها استسهلَتْ في تحصيلها بالشبهات حتى تقع في الحرام المحض بغلبة العادة واستشراهِ الهوى على النفس الأمارة بالسوء؛ فأخَذ عمر الأمرَ من أوَّله، وحماه من ابتدائه كما يفعله مثله. والذي يَضبط هذا البابَ ويحفظ قانونَه على المرء أن يأكل ما وجد، طيباً كان أو قَفاراً، ولا يتكلَّف الطيِّبَ ويتخذَه عادة؛ وقد كان

---

(١) في (م) و(ز) و(ق) تنعت. ولم تجود في (خ).

(٢) أخرجه بنحوه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٨٠، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤/ ٤١٥. وحفص ابن أبي العاص بن بشر الثقفي، هو أخو عثمان بن أبي العاص الصحابي المشهور، ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ٢٦٦، وقال: روى البلاذري بإسناد لا بأس به أن حفص كان يحضر طعام عمر، الحديث.

(٣) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ١١١ - ١١٢، وبنحوه الإمام مالك في الموطأ ٢/ ٩٣٦، وأحمد في الزهد ص١٥٣.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٨٦ - ١٦٨٧.

النبيُّ ﷺ يشبع إذا وجد، ويصبِر إذا عَدِم، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها، ويشرب العسلَ إذا اتفق له، ويأكل اللحم إذا تيسر؛ ولا يعتمد أصلاً، ولا يجعله دَيْدَناً. ومعيشةُ النبيّ ﷺ معلومة، وطريقة الصحابة منقولة؛ فأما اليوم عند استيلاء الحرام وفساد الحطام فالخلاصُ عسيرٌ، واللهُ يَهَبُ الإخلاصَ، ويُعينُ على الخلاص برحمته.

وقيل: إن التوبيخ واقعٌ على ترك الشكر لا على تناول الطيِّبات المحللة، وهو حسن؛ فإن تناولَ الطيب الحلال مأذونٌ فيه، فإذا ترك الشكر عليه واستعان به على ما لا يَحلُّ له فقد أذهبه. واللهُ أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود بن عبد الله بن رباح عليه السلام[١]، كان أخاهم في النَّسَب لا في الدِّين[٢].

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ أي: اذكر لهؤلاء المشركين قصةَ عادٍ ليعتبروا بها. وقيل: أمرَه بأن يتذكّر في نفسه قصةَ هود ليقتديَ به، ويهون عليه تكذيب قومه له[٣].

والأحقاف: ديار عاد، وهي الرِّمال العظام؛ في قول الخليل وغيره[٤]. وكانوا قهَروا أهلَ الأرض بفضل قوَّتِهم. والأحقاف جمع حِقْف، وهو ما استطالَ من الرمل العظيم واعوجّ ولم يبلغ أن يكون جبلاً[٥]، والجمع حِقاف وأحقاف [وحقوف][٦].

---

(١) التعريف والإعلام ص ١٥٦.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٨٢.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٨/ ٢٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠١ بنحوه.

(٥) تفسير الطبري ٢١/ ١٥٠.

(٦) من (م)، وينظر اللسان (حقف).

واحقوقف الرمل والهلال، أي: اعوج. وقيل: الحِقْف جمع حِقاف. والأحقاف جمع الجمع. ويقال: حِقْفٌ أحقف[١]. قال الأعشى:

بـات إلـى أرطـاةِ حِـقـفٍ أحْـقَـفَـا[٢]

أي: رمل مستطيل مشرف. والفعل منه: احقوقف. قال العجَّاج:

طَـيَّ الـلـيـالـي زُلَـفـاً فـزُلَـفـا سَـمَـاوَةَ الـهـلالِ حـتـى احْـقَـوْقَـفـا[٣]

أي: انحنى واسْتَدَارَ. وقال امرؤ القيس:

كـحِقف النَّقا يمشي الوليدَانِ فوقَه بما احتسَبا من لِين مَسٍّ وتَسْهَالِ[٤]

وفيما أُريد بالأحقاف هاهنا مختلَف فيه: فقال ابن زيد: هي رمالٌ مشرفة مستطيلة كهيئة الجبال، ولم تبلغ أن تكون جبالاً؛ وشاهدُه ما ذكرناه[٥].

وقال قتادة: هي جبال مشرفة بالشِّحْر، والشِّحْرُ قريبٌ من عَدن؛ يقال: شِحْرٌ عُمَان وشَحْرُ عُمان، وهو ساحل البحر بين عُمان وعدن. وعنه أيضاً: ذكر لنا أن عاداً كانوا أحياءً باليمن، أهلَ رملٍ مشرفين على البحر بأرضٍ يقال لها: الشَّحْر[٦].

---

(١) الكلام بنحوه في تهذيب اللغة ٤/ ٦٨ ، والصحاح (حقف) .

(٢) كذا قال، والرجز للعجاج بن رؤبة، وهو في ديوانه ص٤٢٧ ، ومعاني القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١٣ ، وتفسير الطبري ٢١/ ١٥٣ ، والنكت والعيون ٥/ ٢٨٢ . وقوله: «أرطاة»؛ الأرْطَى : شجر ينبت بالرَّمل. اللسان (أرط). أما بيت الأعشى فهو :

يـلـوذ إلـى أرطـاة حـقـف تـلـفّـهُ خـريـق شَـمـال يـتـرك الـوجـهَ أقـتـمـا

وهو في ديوانه ص ٣٤٥ .

(٣) ديوان العجاج ص ٤٢٦ ، قال شارحه: قوله «زلفاً فزلفاً» يريد: زلفة فزلفة أي : درجة فدرجة، والزلف: الدرج . و«سماوة الهلال» هي أعلاه .

(٤) ديوان امرئ القيس ص ٣٠ ، قال شارحه: «النقا» : ما استدار من الرمل . «احتسبا» : اكتفيا . يقول : جسم هذه المرأة أو عجيزتها كهذا النقا في لينه وامتلائه ، وهو مع لينه صلبٌ شديد ليس بمنهال متناثر...

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٨٢ ، وذكر قول ابن زيد أيضاً البغوي في تفسيره ٤/ ١٧٠ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ١٥٣ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ١٧٠ ، وزاد المسير ٧/ ٣٨٤ ، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢١٧ ، والطبري ٢١/ ١٥٢ - ١٥٣ بنحوه ، وينظر معجم البلدان ٣/ ٣٢٧ ، والقاموس المحيط (شحر) .

وقال مجاهد: هي أرضٌ من حِسْمَى تسمَّى بالأحقاف[١]. وحِسْمَى ـ بكسر الحاء ـ اسم أرض بالبادية، فيها جبال شواهقُ؛ مُلْسُ الجوانب، لا يَكاد القَتام يُفارقها. قال النابغةُ:

فأصبحَ عاقِلاً بجبال حِسْمَى دُقاقَ التُّرْبِ مُحْتَزِمَ القَتامِ

قاله الجوهريُّ[٢].

وقال ابن عباس والضحَّاك: الأحقاف جبلٌ بالشام. وعن ابن عباس أيضاً: وادٍ بين عُمان ومَهْرة[٣].

وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بواد يقال له: مَهَرَة[٤]، وإليه تنسب الإبل المَهْرِيَّة؛ فيقال: إبل مَهْرِيّة ومَهارِي. وكانوا أهل عُمُد سيَّارة في الربيع، فإذا هاج العودُ رجعوا إلى منازلهم؛ وكانوا من قبيلة إرم[٥].

وقال الكلبيُّ: أحقاف الجبلِ ما نضَب عنه الماءُ زمانَ الغرَق، كان يَنْضُب الماء من الأرض ويبقى أثره.

وروى [أبو] الطُّفيل عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: خيرُ وادِيَيْن في الناس وادٍ بمكة؛ ووادٍ نزَل به آدم بأرض الهند، وشرُّ وادِيَيْن في الناس وادٍ بالأحقاف؛ ووادٍ

---

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٥٩٤ ، بلفظ: خساف من حسمى ، وذكر قوله الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٨٢ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ١٥٢ .

(٢) في الصحاح (حسم) ومن قوله: وحِسْمى. . . إلى هذا الموضع، ليس في (ظ). ولعله حاشية في الأصل، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص ١١٤ وفيه: وأضحى ساطعاً. وقوله: «القَتام» ، أي: الغبار . القاموس (قتم) قال ابن بري : أي: حِسْمى قد أحاط به القتام كالحزام له . اللسان (حسم) . وحسمى أرض ببادية الشام ، ينظر معجم البلدان ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٨٢ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ١٥١ .

(٤) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٥/ ٢٣٤ : مَهرة قبيلة، وهي مهرة بن حَيْدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٧٠ .

بحضرمَوْت يدعى بَرَهُوت تلقى فيه أرواحُ الكفار. وخير بئرٍ في الناس بئرُ زمزم، وشرُّ بئر في الناس بئر بَرَهُوت، وهو في ذلك الوادي الذي بحضرموت[١].

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: مَضَت الرسلُ. ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: من قبل هود. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ أي: ومن بعده؛ قاله الفرَّاء. وفي قراءة ابن مسعود: «من بين يديه ومن بعده»[٢]. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هذا من قول المرسَل، فهو كلام معترض[٣]. ثم قال هود: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وقيل: «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ» من كلام هود، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۖ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لتزيلنا عن عبادتها بالإفك.

الثاني: لتصرفنا عن آلهتنا بالمنع؛ قاله الضحاك[٤]. قال عُرْوة بن أُذَيْنَة:

إن تك عن أحسن الصنيعة[٥] ما ... أُفِكَ فُوكاً ففي آخرين قد أُفِكوا

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٨٢ - ٢٨٣ وما بين حاصرتين منه، وهو الصواب. وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٤٣. وقوله: «وخير بئر في الناس زمزم... إلى قوله: بحضرموت» أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١١٦٧) من حديث ابن عباس مرفوعاً، بنحوه. قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٨٦: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٨٣، وذكر القراءة أيضاً الطبريُّ في تفسيره ٢١/ ١٥٤، والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) الكلام بنحوه في الوسيط ٤/ ١١٣.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٨٣.

(٥) في (ظ) حسن الصنيعة. وسلف البيت عند تفسير الآية (٢٥) من سورة فصلت.

يقول: إن لم توفَّق للإحسان فأنت في قومٍ قد صُرِفوا.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ هذا يدلُّ على أن الوعدَ قد يوضع موضعَ الوعيد. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أنك نبيٌّ. ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بوقت مجيء العذاب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا عندي ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ عن ربكم. ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ في سؤالكم استعجالَ العذاب. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ قال المبرِّد: الضمير في «رَأَوْهُ» يعودُ إلى غير مذكور؛ وبيَّنه قولُه: «عَارِضًا»، فالضمير يعودُ إلى السحاب؛ أي: فلمَّا رأوا السحابَ عارضاً[1]. فـ «عارضاً» نصب على التكرير؛ سُمِّي بذلك لأنه يبدو في عُرض السماء. وقيل: نصب على الحال[2]. وقيل: يرجع الضمير إلى قوله: «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا»[3] فلما رأوه حسبوه سحاباً يمطرهم، وكان المطر قد أبطأ عنهم، فلما رأوه «مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ» استبشروا[4]. وكان قد جاءهم من وادٍ جرَت العادةُ أنَّ ما جاء منه يكون غَيْثاً؛ قاله ابن عباس وغيره.

قال الجوهريُّ: والعارض السحاب يَعترض في الأفق؛ ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: ممطرٌ لنا؛ لأنه معرفة لا يجوز أن يكون صفةً لعارض وهو نكرة. والعربُ إنما تفعل مثلَ هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون غيرها. قال جرير:

يا رُبَّ غابِطِنا لو كان يطلبكم ... لاقى مباعدةً منكم وحِرْمَانا[5]

ولا يجوز أن يقال: هذا رجلٌ غلامنا. وقال أعرابيٌّ بعد الفِطر: رُبَّ صائمة لن

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٢٤.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٨.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٨٣، والرازي ٢٨/ ٢٨.

(٥) ديوان جرير ١/ ١٦٣، وهو في الكتاب ١/ ٤٢٧، والمقتضب للمبرد ٣/ ٢٢٧ و٤/ ١٥٠، وتحصيل عين الذهب ص ٢٤٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٥١. قال الشنتمري في شرحه: رُبَّ من يغبطنا ويَسرُّنا بطلب معروفنا لو طلب ما عندكم لَبُوعد وحُرم، والشاهد في البيت إضافةُ «رب» إلى غابطنا، وربَّ لا تعمل إلا في النكرة، فغابطنا في نية التنوين والانفصال.

تصومه، وقائمةٍ لن تقومه؛ فجعله نعتاً للنكرة وأضافه إلى المعرفة[١].

قلت: قوله: «لا يجوز أن يكون صفة لعارض» خلاف قول النحويين، والإضافة في تقدير الانفصال، فهي إضافة لفظية لا حقيقية؛ لأنها لم تفد الأوّل تعريفاً، بل الاسم نكرة على حاله؛ فلذلك جرى نعتاً على النكرة. هذا قول النحويين في الآية والبيت. ونعت النكرة نكرة. و«رُبّ» لا تدخل إلا على النكرة.

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: قال هود لهم. والدليل عليه قراءة من قرأ: «قال هود بل هو»[٢] وقرئ: «قُلْ بَلْ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ هِيَ رِيحٌ»[٣] أي: قال الله: قل بل هو ما استعجلتم به؛ يعني قولهم: «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» ثم بيَّن ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والريح التي عُذِّبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه، وخرج هودٌ من بين أظهرهم، فجعلت تحملُ الفساطيط وتحمل الظَّعِينةَ فترفعها كأنها جرادة[٤]، ثم تضرب بها الصخور. قال ابن عباس: أول ما رأوا العارض قاموا فمدّوا أيديهم، فأوّل ما عرَفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطيرُ بهم الريح ما بين السماء والأرض مثل الريش، فدخَلوا بيوتهم وأغلَقوا أبوابهم، فقلعت الريحُ الأبوابَ وصرعتهم، وأمرَ اللهُ الريح؛ فأمالت عليهم الرمالَ، فكانوا تحت الرمال سبعَ ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً[٥]، ولهم أنين؛ ثم أمر اللهُ الريحَ فكشفت عنهم الرمالَ واحتملتهم فرمتهم في البحر، فهي التي قال اللهُ تعالى فيها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: كل شيء مرَّت عليه من رجال عادٍ وأموالها[٦]. قال ابن عباس: أي: كل

(١) الصحاح (عرض).

(٢) هي قراءة ابن مسعود كما ذكر ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٦٥.

(٣) هي قراءة ابن مسعود أيضاً كما ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣٩.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٢٤.

(٥) قوله: حسوماً، ليس في المصادر الآتي ذكرها، وهو الأشبه.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ١٧٠ - ١٧١، والكشاف ٣/ ٥٢٤، والرازي ٢٨/ ٢٨.

شيء بُعثت إليه، والتدمير: الهلاكُ. وكذلك الدمار. وقرئ: «يَدْمُرُ كُلُّ شَيْءٍ» من دَمَر دماراً[١]. يقال: دَمَّره تدميراً ودماراً ودَمَّر عليه بمعنًى. ودَمَر يَدْمُر دُموراً: دخَل بغير إذن. وفي الحديث: «مَن سَبَقَ طَرْفُه استئذانَه فقد دَمَر» مخفف الميم. وتَدْمُر: بلد بالشام. وَيَرْبُوع تَدْمُرِي إذا كان صغيراً قصيراً[٢]. ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بإذن ربها[٣]. وفي البخاري[٤] عن عائشة رضي الله عنها زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: ما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لَهَواتِهِ، إنما كان يتبسَّم. قالت: وكان إذا رأى غَيْماً أو رِيحًا عُرِف في وجهه. قالت: يا رسولَ الله، الناسُ إذا رَأَوا الغَيْمَ فرِحوا رجاءَ أنْ يكونَ فيه المطرُ، وأراكَ إذا رأيتَه عُرِف في وجهك الكراهية! فقال: «يا عائشة، ما يُؤَمِّنُني أن يكونَ فيه عذابٌ، عُذِّب قومٌ بالرِّيح، وقد رأى قومٌ العذابَ فقالوا: هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا» خَرَّجه مسلمٌ والترمذيُّ، وقال فيه: حديث حسن[٥].

وفي صحيح مسلم[٦] عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ».

وذكر الماورديُّ[٧] أن القائل: «هَذَا عَارِض مُمْطِرُنَا» من قوم عاد: بكر بنُ معاوية؛ ولمَّا رأى السحابَ قال: إني لأَرَى سحاباً مُرْمِداً، لا تدع من عاد أحداً.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٤ ، وهي قراءة شاذة.

(٢) الصحاح (دمر) ، وأخرج الحديث الطبراني في المعجم الكبير (٧٥٠٧) بنحوه من حديث أبي أمامة ﷺ. وفي إسناده عبد الله بن صالح : صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة . والسفر بن نُسَيْر : ضعيف . كذا قال الحافظ ابن حجر في التقريب .

(٣) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٣٥ .

(٤) (٤٨٢٨ - ٤٨٢٩).

(٥) صحيح مسلم (٨٩٩): (١٦)، وسنن الترمذي (٣٢٥٧) بنحوه ، وهو عند الإمام أحمد (٢٤٣٦٩) وسلف بنحوه ٢/ ٥٠٣ .

(٦) برقم (٩٠٠) ، وسلف ٢/ ٤٩٩ .

(٧) في النكت والعيون ٥/ ٣٨٢ - ٢٨٤ .

فذكر عمرو بنُ ميمون: أنها كانت تأتيهم بالرجل الغائب حتى تقذفه في ناديهم. قال ابنُ إسحاق: واعتَزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه منها إلا ما يلين على[١] ثيابهم. وتلتذ الأنفس به؛ وإنها لتمرُّ من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدْمَغُهُم بالحجارة حتى هَلكوا. وحكى الكلبيُّ أنَّ شَاعرَهم قال في ذلك:

فدعا هودٌ عليهم ... دعوةً أَضحَوْا هُمودا
عصفت ريحٌ عليهم ... تركت عاداً خُمودا
سُخِّرتْ سبعَ ليالٍ ... لم تدع في الأرض عُودا

وعَمَّر هودٌ في قومه بعدهم مئة وخمسين سنة.

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ قرأ عاصم وحمزة: «لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ» بالياء غير مسمى الفاعل. وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير إلا أنه قرأ: «ترى» بالتاء. وقد رُوي ذلك عن أبي بكر عن عاصم. الباقون: «تَرى» بتاء مفتوحة. «مَسَاكِنَهُم» بالنصب[٢]، أي: لا ترى يا محمد إلا مساكنَهم. قال المهدويُّ: ومن قرأ بالتاء غير مسمى الفاعل فعلى لفظ الظاهر الذي هو المساكن المؤنثة، وهو قليل لا يستعمل إلا في الشعر. وقال أبو حاتم: لا يَستقيم هذا في اللغة إلا أن يكون فيها إضمار؛ كما تقول في الكلام: لا تُرى النساء إلا زينب. ولا يجوز: لا تُرى إلا زينب. وقال سيبويه: معناه: لا تُرى أشخاصهم إلا مساكنهم.

واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءةَ عاصم وحمزة. قال الكسائيُّ: معناه لا يُرى شيء إلا مساكنهم[٣]، فهو محمولٌ على المعنى؛ كما تقول: ما قام إلا هندٌ، والمعنى ما قام أحدٌ إلا هند. وقال الفرَّاءُ: لا يُرى الناسُ لأنهم كانوا تحتَ الرمل، وإنما تُرى

---

(١) في النسخ: أعلى. والمثبت من (د) والنكت والعيون، والعبارة فيه: إلا ما يلين على الجلود.

(٢) السبعة ص٥٩٨، والتيسير ص ٢٠٠. ولم نقف على وجهي القراءة لابن كثير وعاصم، والمتواتر عن عاصم: يُرى، وعن ابن كثير: تَرى.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٨.

مساكنُهم لأنها قائمة[١] .﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل هذه العقوبة نُعاقب بها المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ قيل: إنَّ «إنْ» زائدةٌ؛ تقديره: ولقد مكنَّاهم فيما مكنَّاكم فيه. وهذا قول القتبيِّ[٢].

وأنشد الأخفش:

يُـرَجِّـي الـمـرءُ مـا إنْ لا يـراهُ ... وتَـعـرِضُ دون أدنـاهُ الـخُـطـوبُ[٣]

وقال آخر:

فـمـا إنْ طِـبُّـنَـا جُـبْـن ولـكـن ... مـنـايـانـا ودَوْلَـةُ آخـريـنـا[٤]

وقيل: إن «ما» بمعنى الذي. و«إن» بمعنى ما؛ والتقدير: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه؛ قاله المبرّدُ[٥].

وقيل: شرطية وجوابها مضمر محذوف؛ والتقدير: ولقد مكناهم في ما إن

---

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٠ .

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٤٠٨ ، وتفسير الرازي ٢٨/ ٢٩ .

(٣) النوادر في اللغة ص ٦٠ ، والصاهل والشاحج ص ٢٥٤ ، وخزانة الأدب ٨/ ٤٤٠ . وقائله ـ كما في النوادر ـ هو جابر بن رألان الطائي جاهلي .

(٤) البيت لفروة بن مُسيك كما في الكتاب ٣/ ١٥٣ ، والصاهل والشاحج ص٢٥٤-٢٥٥ ، وذكره المبرد في الكامل ١/ ٤٤١ ، والبغدادي في الخزانة ٤/ ١١٢ دون نسبة ، وقوله : «طِبُّنَا» الطِّبُّ بمعنى العلة والسبب، أي: لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنما كان ما جرى به القدر من حضور المنية وانتقالِ الحال عنا والدُّولة. قاله في الخزانة .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٠ ، والوسيط ٤/ ١١٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٧١ .

مكناكم فيه كان بغيُكم أكثرَ وعنادكم أشدّ؛ وتمَّ الكلام[١]، ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ يعني قلوباً يفقهون بها[٢]. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ من عذاب اللهِ. ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ﴾: يكفُرون. ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاط بهم[٣] ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يُريدُ حِجْرَ ثمود وقُرى لوط ونحوهما مما كان يجاورُ بلادَ الحجاز، وكانت أخبارهم متواترة عندهم. ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ يعني الحُجَجَ والدلالاتِ وأنواعَ البيِّنات والعِظات، أي: بيَّناها لأهل تلك القرى[٤]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فلم يَرْجعوا. وقيل: أي: صرَّفنا آياتِ القرآن في الوعد والوعيد والقصص والإعجاز لعلَّ هؤلاء المشركين يَرْجِعون.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ «لَوْلَا» بمعنى هلَّا، أي: هلَّا نصرَهم آلهتُهم التي تقرَّبوا بها ـ بزعمهم ـ إلى الله لتشفع لهم حيث قالوا: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ومنعَتهم من الهلاك الواقع بهم! قال الكسائيُّ: القُرْبان كلُّ ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى من طاعةٍ ونَسيكة، والجمعُ: قرابين؛ كالرُّهبان والرَّهابين[٥].

وأحد مفعولي «اتخذ» الراجعُ إلى «الذين» المحذوف، والثاني: «آلِهةً».

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢) زاد المسير ٧/ ٣٨٦.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٥٦.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ١٦١، ومجمع البيان ٢٦/ ٢١.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ١٧١ - ١٧٢ دون نسبة.

و«قُرْبَاناً»: حال، ولا يصحُّ أن يكون «قُرْبَانًا» مفعولاً ثانياً، و«آلِهَةً» بدل منه؛ لفساد المعنى؛ قاله الزمخشري. وقرئ: «قُرُباناً»؛ بضم الراء[١].

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ أي: هَلكوا عنهم. وقيل: «بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ» أي: ضلَّت عنهم آلهتهم؛ لأنها لم يُصبها ما أصابهم؛ إذ هي جمادٌ. وقيل: «ضَلُّوا عَنْهُمْ»، أي: تَرَكوا الأصنام وتبرؤوا منها. ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي: والآلهة التي ضلَّت عنهم هي إفكهم في قولهم: إنها تقرِّبهم إلى الله زلفى[٢].

وقراءة العامة: «إِفْكُهُمْ» بكسر الهمزة وسكون الفاء، أي: كذبهم. والإفك: الكذب، وكذلك الأفِيكة، والجمع: الأفائك. ورجل أفَّاكٌ، أي: كَذَّاب.

وقَرأ ابن عباس ومجاهد وابن الزبير: «وَذَلِكَ أَفَكَهُمْ» بفتح الهمزة والفاء والكافِ، على الفعل، أي: ذلك القول صَرَفهم عن التوحيد[٣]. والأَفْكُ ـ بالفتح ـ مصدر قولك: أَفكَه يَأفِكه أَفْكاً، أي: قلبَه وصرَفه عن الشيء.

وقرَأ عكرمة: «أَفَّكهم» بتشديد الفاء على التأكيد والتكثير[٤]. قال أبو حاتم: يعني قَلبهم عمَّا كانوا عليه من النعيم.

وذكر المهدويُّ عن ابن عباس أيضاً: «آفِكُهم» بالمدِّ وكسر الفاء، بمعنى صارِفُهم.

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٢٦ وقد أعرب «قرباناً» مفعول اتخذوا، وآلهة بدلاًمنه: العكبري في الإملاء ٢/ ٢٣٥، وذكره مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٩. وقوله: ولا يصح أن يكون «قرباناً» مفعولاً ثانياً... إلخ، قال السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٦٧٧: ووجه الفساد - والله أعلم - أن القربان اسم لما يتقرب به إلى الإله، فلو جعلناه مفعولاً ثانياً وآلهة بدلاً منه لزم أن يكون الشيء المتقَرَّبُ به آلهةً، والفرض أنه غير الآلهة، بل هو شيءٌ يتقرب به إليها فهو غيرها، فكيف تكون الآلهة بدلاً منه؟ هذا ما لا يجوز.

(٢) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ١٧٢.

(٣) ذكرها عنهم جميعاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣٩، وعن ابن عباس ابنُ جني في المحتسب ٢/ ٢٦٧، وأخرجها عنه أيضاً الطبري في تفسيره ٢١/ ١٦٣.

(٤) قراءة عكرمة في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٤، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٦٧، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣٩ عن عياض.

وعن عبد الله بن الزُّبير باختلاف عنه: «آفَكَهم»[١] بالمدّ، فجاز أن يكون أفعلَهم، أي: أَصَارَهم إلى الإفك. وجاز أن يكون فاعلَهم، كخَادَعَهم.

ودليلُ قراءة العامة: «إِفْكُهُمْ» قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يكذبون.

وقيل: «إِفْكُهُم» مثلُ: «أَفَكَهُم». الإفْك والأَفَك كالحِذْر والحَذَر[٢]؛ قاله المهدويُّ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هذا توبيخ لمشركي قريش، أي: إن الجنَّ سمِعوا القرآن فآمنوا به، وعلموا أنه من عند الله، وأنتم معرضون مصِرُّون على الكفر[٣]. ومعنى: «صَرَفْنَا»: وجَّهنا إليك وَبَعَثنا. وذلك أنهم صُرِفوا عن استراق السمع من السماء برجوم الشُّهُب ـ على ما يأتي ـ ولم يكونوا بعدَ عيسى قد صُرِفوا عنه إلا عند مبعثِ النبيِّ ﷺ[٤].

قال المفسرون؛ ابنُ عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم: لمَّا مات أبو طالب خَرج النبيُّ ﷺ وحدَه إلى الطائف يَلْتمِس من ثَقيف النصرةَ، فقصد عبْدَ ياليل ومسعوداً وحبيباً وهم إخوة، بنو عمرو بن عمير، وعندهم امرأة من قريش من بني جُمَح، فدعاهم إلى الإيمان، وسألَهم أن يَنْصُروه على قومه، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثيابَ الكعبة[٥] إن كان اللهُ أرسلَك! وقال الآخر: ما وجَد اللهُ أحداً يرسِله غيرَك! وقال

---

(١) يعني بالمد وفتح الفاء والكاف كما في القراءات الشاذة ص١٣٩ ، والمحتسب ٢/ ٢٦٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٤ .

(٢) المحتسب ٢/ ٢٦٧ - ٢٦٨ ، وذكر صاحب القاموس: أنها بكسر الهمزة وفتحها وبالتحريك.

(٣) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ١٦٣ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٨٥ .

(٥) أي: ينزعه ويسقطه عنها . ينظر القاموس (مرط).

الثالثُ: واللهِ لا أكلمك كلمةً أبداً؛ إن كان اللهُ أرسلك كما تقول؛ فأنت أعظمُ خطراً من أن أردَّ عليك الكلامَ، وإن كنت تكذبُ؛ فما ينبغي لي أن أكلِّمَك. ثم أغرَوْا به سفهاءَهم وعبيدَهم يسبُّونه ويضحكون به، حتى اجتمع عليه الناسُ، وألجؤوه إلى حائطٍ لعتبة وشيبة ابني ربيعة. فقال لِلْجُمَحِيَّة: «ماذا لقينا من أَحمائك»؟ ثم قال: «اللهم إني أشكو إليك ضَعْفَ قوّتي وقِلَّةَ حِيلتي وهواني على الناس، يا أرحمَ الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربي، لِمن تَكِلُني! إلى عبدٍ يَتَجَهَّمُني[1]، أو إلى عدوٍّ ملَّكته أمري! إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتُك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك من أن يَنزل بي غضبك، أو يحلَّ عليَّ سخطك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوَّة إلا بك». فرحمه ابنا ربيعة وقالا لغلامٍ لهما نصرانيٍّ يقال له عدَّاس: خذ قِطْفاً من العنب، وضَعْه في هذا الطبق، ثم ضعْه بين يدي هذا الرجل. فلمَّا وضعَه بين يدي رسولِ الله ﷺ قال النبيُّ ﷺ: «باسم الله» ثم أكَل. فنظَر عدَّاس إلى وجهه ثم قال: واللهِ إن هذا الكلامَ ما يقوله أهلُ هذه البلدة! فقال النبيُّ ﷺ: «مِن أيِّ البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينُك؟» قال: أنا نصرانيٌّ من أهل نِينَوَى. فقال له النبيُّ ﷺ: «أَمِن قرية الرجلِ الصالح يونس بن متَّى؟» فقال: وما يدريك ما يونس بن متَّى؟ قال: «ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبيٌّ». فانكبَّ عدَّاس حتى قبَّل رأس النبيِّ ﷺ ويديه ورجليه. فقال له ابنا ربيعة: لِمَ فَعلتَ هكذا!؟ فقال: يا سَيِّدِي، ما في الأرض خيرٌ من هذا، أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبيٌّ. ثم انصرف النبيُّ ﷺ حين يئس من خير ثَقيف، حتى إذا كان ببطن نَخْلة؛ قام من الليل يصلّي، فمرَّ به نفرٌ من جنِّ أهل نَصِيبِين[2].

---

(١) أي: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه. النهاية (جهم).

(٢) السيرة النبوية ١/ ٤١٩ - ٤٢٢ بنحوه، وأخرجه مختصراً الطبراني في المعجم الكبير ٢٥/ ٣٤٦، والبغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (١٩٠١) من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

وذكره ابن حبان في الثقات ١/ ٧٦-٧٩، وابن حجر في الإصابة ٦/ ٣٩٩ مختصراً في ترجمة عداس ﷺ.

وكان سبب ذلك أن الجنَّ كانوا يَسترِقون السمعَ، فلما حُرست السماء ورُمُوا بالشُّهب قال إبليس: إن هذا الذي حدَث في السماء لِشيء حدث في الأرض؛ فبعث سراياه ليعرف الخبرَ ـ أوّلهم رَكْب نَصيبين، وهم أشراف الجنِّ ـ إلى تِهامة، فلما بلغوا بَطْن نخلة سمعوا النبيَّ ﷺ يصلِّي صلاةَ الغداة ببطن نخلة ويتلو القرآن، فاستمعوا له وقالوا: أنصتوا[١].

وقالت طائفة: بل أُمِر النبيُّ ﷺ أن يُنذر الجنّ ويَدعوَهم إلى الله تعالى ويَقْرَأ عليهم القرآن، فصرف الله عزَّ وجلَّ إليه نفراً من الجنِّ من نِينَوى وجمعَهم له؛ فقال النبيُّ ﷺ: «إني أريد أن أَقْرَأ القرآن على الجنِّ الليلةَ فأيكم يَتْبَعني؟» فأطرَقوا، ثم قال الثانيةَ فأطرَقوا، ثم قال الثالثة فأطرقوا؛ فقال ابن مسعود: أنا يا رسول الله؛ قال ابن مسعود: ولم يحضر معه أحدٌ غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخَل النبيُّ ﷺ شِعْبًا يقال له: «شِعْب الْحَجُون»[٢] وخطَّ لي خطًّا وأمرَني أن أجلس فيه وقال: «لا تخرج منه حتى أعود إليك». ثم انطلق حتى قام، فافتتح القرآن، فجعلت أرى أمثال النسور تهوي وتمشي في رفرفها[٣]، وسمعت لَغَطاً وغَمْغَمَةً حتى خِفْتُ على النبيِّ ﷺ، وغَشِيته أَسْوِدةٌ كثيرة حالَت بيني وبينه حتى ما أسمعُ صوتَه، ثم طفِقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرَغ النبيُّ ﷺ مع الفجْر فقال: «أَنِمْتَ»؟ قلت: لا واللهِ، ولقد هممتُ مِرَاراً أن أستغيثَ بالناس حتى سمعتُك تَقْرَعهم بعصاك تقول: اجلِسوا؛ فقال: «لو خرجتَ لم آمَن عليك أن يخطفكَ بعضُهم» ثم قال: «هل رأيتَ شيئاً؟» قلت: نعم يا رسول الله، رأيتُ رِجالاً سوداً مُسْتَنْفِرِي ثياباً بيضاً[٤]؛ فقال:

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ١٦٤ عن ابن عباس مطولاً. وأخرجه عنه الإمام أحمد (٢٢٧١)، والبخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩) بنحوه.

(٢) الحَجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان ٢/ ٢٢٥.

(٣) في (ظ) دفوفها.

(٤) كذا في النسخ، وفي تفسير الطبري ٢١/ ١٦٨: مستثفري ثياب بياض. والاستثفار: هو أن يدخل الرَّجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنَبه. النهاية (ثفر).

«أولئك جِنٌّ نَصِيبين سألوني المتاع والزادَ، فمتَّعتهم بكل عظم حائل[١] ورَوْثة وبعرة». فقالوا: يا رسول الله، يَقْذَرها الناس علينا. فنهى رسول الله ﷺ أن يُسْتَنْجَى بالعظم والرَّوْث. قلت: يا نبيَّ الله، وما يُغْني ذلك عنهم! قال: «إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أُكِل، ولا رَوْثة إلا وجدوا فيها حَبَّها يوم أُكِل» فقلت: يا رسول الله، لقد سمعت لَغَطاً شديداً؟ فقال: «إن الجِنَّ تدارأت في قتيل بينهم، فتحاكموا إليَّ فقضيت بينهم بالحقّ». ثم تبرَّز النبيُّ ﷺ ثم أتاني فقال: «هل معك ماء»؟ فقلت يا نبيَّ الله، معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر، فصببت على يديه فتوضأ فقال: «تمرة طيِّبة وماء طهور»[٢]. روى معناه معمر عن قتادة وشُعبة أيضاً عن ابن مسعود. وليس في حديث معمر ذكر نبيذ التمر.

ورويَ عن أبي عثمان النَّهْدِيِّ أن ابن مسعود أَبْصَرَ زُطًّا[٣] فقال: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزُّطُّ. قال: ما رأيت شبههم إلا الجنّ ليلة الجنِّ، فكانوا مستفزِّين يتبع بعضهم بعضاً[٤].

وذكر الدَّارقُطْنيُّ[٥] عن عبد الله بن لَهِيعة، حدَّثني قيس بن الحجَّاج، عن حَنَش، عن ابن عباس، عن ابن مسعود أنه وضَّأ النبيَّ ﷺ ليلةَ الجنِّ بنبيذٍ، فتوضأ به وقال: «شراب وطهور». ابنُ لَهِيعة لا يحتج به. وبهذا السند عن ابن مسعود: أنه خَرج مع النبيِّ ﷺ ليلة الجنِّ، فقال له رسول الله ﷺ: «أمعك ماءٌ يا ابنَ مسعود»؟ فقال: معي

---

(١) أي متغير، قد غَيَّره البِلَى. النهاية (حول).

(٢) أخرجه مقطعاً الطبريُّ في تفسيره ٢١/١٦٦ - ١٦٩، وأخرجه بسياق أخصر منه الإمامُ أحمد (٤٣٨١)، وإسناده ضعيف. وسلف ١٥/٤٤١ قولُه: «تمرة طيبة وماء طهور» ومداره على أبي زيد، وهو مجهول اهـ. قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ٤/١٦٩: وحديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين.

(٣) الزط: جنس من السودان والهنود. النهاية (زطط).

(٤) عزاه الزيلعي في نصب الراية ١/١٤٠ للبيهقي، وأخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/٢١٨ - ١١٩، والطبري ٢١/١٦٧.

(٥) برقم (٢٤٣).

نبيذٌ في إداوةٍ؛ فقال رسول الله ﷺ: «صُبَّ عليَّ منه». فتوضأ وقال: «هو شراب وطهور» تفرَّد به ابن لَهِيعة، وهو ضعيف الحديث[١].

قال الدَّارَقُطْنِي[٢]: وقيل: إن ابن مسعود لم يشهد مع النبيِّ ﷺ ليلةَ الجنِّ. كذلك رواه علقمة بن قيس وأبو عبيدة بن عبد الله وغيرهما عنه أنه قال: ما شهدت ليلة الجنِّ. حدّثنا أبو محمد بن صاعد، حدَّثنا أبو الأشعث، حدَّثنا بشر بن المفضَّل[٣]، حدثنا داود بن أبي هند، عن عامر، عن علقمة بن قيس، قال: قلت لعبد الله بن مسعود: أشَهِدَ رسولَ الله ﷺ أحدٌ منكم ليلةَ أتاه داعي الجنِّ؟ قال: لا. قال الدَّارقُطْنِيُّ: هذا إسناد صحيح لا يُختلف في عدالة رواته[٤].

وعن عمرو بن مُرّة قال: قلت لأبي عبيدة: حضر عبد الله بن مسعود ليلةَ الجنّ؟ فقال: لا[٥]. قال ابن عباس: كان الجنُّ سبعة نفر من جنِّ نَصِيبين فجعلَهم النبيُّ ﷺ رسلاً إلى قومهم[٦].

وقال زِرُّ بن حُبيش: كانوا تسعة؛ أحدهم زَوْبعة. وقال قتادة: إنهم من أهل نِينَوَى[٧]. وقال مجاهد: من أهل نجران. وقال عكرمة: من جزيرة الموصل. وقيل: إنهم كانوا سبعة، ثلاثة من أهل نجران، وأربعة من أهل نَصِيبين[٨].

---

(١) سنن الدارقطني (٢٤٤).

(٢) إثر الحديث السالف (٢٤٣).

(٣) في (ظ) و(م) الفضل. والمثبت من باقي النسخ وسنن الدارقطني.

(٤) في (م) راويه. والمثبت من باقي النسخ وسنن الدارقطني ورقمه (٢٤٥)، وهو عند الإمام أحمد (٤١٤٩)، ومسلم (٤٥٠).

(٥) سنن الدارقطني (٢٤٦).

(٦) أخرجه الطبري ٢١/ ١٦٥، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٥٦ (١١٦٦٠) وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٤٨٨.

(٧) أخرج قولهما الطبري ٢١/ ١٦٥ - ١٦٦.

(٨) المثبت من (خ) وهو الموافق لما في النكت والعيون ٥/ ٢٨٦، والكلام منه، وفي غير (خ): حران.

وروى ابن أبي الدنيا أن النبيَّ ﷺ قال في هذا الحديث وذكر فيه نَصِيبين فقال: «رفعت إليَّ حتى رأيتها، فدعوتُ الله أن يكثر مطرَها وينضر شجرَها وأن يُغْزر نهرها»[١].

وقال السهيلي[٢]: ويقال: كانوا سبعة، وكانوا يهوداً فأسلموا؛ ولذلك قالوا: «أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى».

وقيل في أسمائهم: شاصر وماصر ومنشى وماشى والأحقب؛ ذكر هؤلاء الخمسة ابنُ دريد. ومنهم عمرو بن جابر؛ ذكره ابن سلام من طريق أبي إسحاق السَّبِيعي عن أشياخه، عن ابن مسعود: أنه كان في نَفَرٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ يَمشون، فرفع لهم إعصار، ثم جاء إعصارٌ أعظم منه؛ فإذا حَيَّةٌ قتيل، فعمد رجلٌ منا إلى ردائه فشقَّه وكفَّن الحيةَ ببعضه، ودفنها، فلما جَنَّ الليل إذا امرأتان تسألان: أيُّكم دفن عمرو بنَ جابر؟ فقلنا: ما ندري مَن عمرو بنُ جابر! فقالتا: إن كنتم ابتغيتم الأجرَ فقد وجدتموه، إن فَسقَةَ الجنِّ اقتتلوا مع المؤمنين فقُتل عمرو، وهو الحيَّة التي رأيتم، وهو مِن النفر الذين استمعوا القرآن من محمدٍ ﷺ ثم وَلَّوْا إلى قومهم منذِرين. وذكر ابنُ سلام رواية أخرى: أن الذي كفَّنه هو صفوان بن المُعَطَّل.

قلت: وذكر هذا الخبر الثعلبي بنحوه فقال: وقال ثابت بن قُطْبة: جاء أناس إلى ابن مسعود فقالوا: إنا كنا في سفر، فرأينا حيةً متشحِّطة في دمائها[٣]، فأخذها رجل منا فوارياها؛ فجاء أناس فقالوا: أيكم دفن عَمْرًا؟ قلنا: وما عمرو! قالوا: الحية التي دفنتم في مكان كذا؛ أمَا إنه كان من النفر الذين سمعوا القرآنَ من النبيِّ ﷺ،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الهواتف (٧٤) بنحوه عن حذيفة بن غانم العدوي، وفي إسناده محمد بن عباد ابن موسى العُكْلي؛ قال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب: صدوق يخطئ. ومحمد بن زياد بن زبَّار الكلبي، قال فيه يحيى بن معين: ليس بشيء، الميزان ٣/ ٢٥٥. وحذيفة بن غانم العدوي لم نعرفه.

(٢) في التعريف والإعلام ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) أي: مضرجة بالدم. ينظر القاموس (شحط).

وكان بين حَيَّيْن من الجنِّ مسلمين وكافرين قتال فقُتل[١].

ففي هذا الخبر أن ابن مسعود لم يكن في سفر ولا حَضَرَ الدفن؛ والله أعلم. وذكر ابن أبي الدنيا عن رجلٍ من التابعين سَمَّاه: أن حية دخلت عليه في خِبائه تلْهَثُ عطشاً فسقاها، ثم إنها ماتت فدفنها، فأُتي من الليل فسلَّم عليه وشكره؛ وأخبر أن تلك الحيَّةَ كانت رجلاً من جنِّ نَصِيبين اسمه: زوبعة.

قال السُّهَيْلِيُّ[٢]: وبلغنا في فضائل عمر بن عبد العزيز ﷺ مما حدَّثنا به أبو بكر بن طاهر الأشبيلي، أن عمر بن عبد العزيز كان يمشي بأرض فلاة، فإذا حية ميِّتة فكفَّنها بفضلةٍ من ردائه ودفنها؛ فإذا قائل يقول: يا سرق، أشهدُ لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ستموتُ بأرض فلاة، فيكفنك رجلٌ صالح». فقال: ومَن أنت يرحمك الله! فقال: رجلٌ من الجنِّ الذين استمعوا القرآن من رسول الله ﷺ لم يبق منهم إلا أنا وسرق؛ وهذا سرق قد مات[٣].

وقد قَتَلَت عائشة رضي الله عنها حيةً رأتها في حُجرتها تستمع[٤] وعائشةُ تقرَأ؛ فأُتيت في المنام فقيل لها: إنك قتلت رجلاً مؤمناً من الجنِّ الذين قدِموا على رسول الله ﷺ؛ فقالت: لو كان مؤمناً ما دخَل على حرَم رسول الله ﷺ؛ فقيل لها: ما دخل عليك إلا وأنت مقنَّعة، وما جاء إلا ليستمع الذِّكر. فأصبحت عائشةُ فزِعةً، واشترت رقابًا فأعتقتهم[٥].

---

(١) ذكره عن ثابت الحكيمُ الترمذي في نوادر الأصول ص٥١ بنحوه، والله أعلم بصحته.

(٢) في التعريف والإعلام ص ١٥٧ - ١٥٨ وما قبله منه.

(٣) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٥/ ١٤٦ عن أبي معمر الأنصاري... فذكره، والله أعلم بصحته.

(٤) بعدها في (ظ): القرآن.

(٥) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٥١، وابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/ ٢٥٩ عن ابن أبي مليكة وغيرِه عن عائشة رضي الله عنها. وذكره العيني في عمدة القاري ١٠/ ١٨٥ عن ابن أبي مليكة عن عائشة بنت طلحة أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رأت في مغتسلها حية فقتلتها... فذكره.

قال السهيليُّ[١]: وقد ذكرنا من أسماء هؤلاء الجنِّ ما حضَرَنا؛ فإن كانوا سبعةً فالأحقب منهم وَصْفٌ لأحدهم، وليس باسم عَلَم؛ فإن الأسماء التي ذكرناها آنفاً ثمانيةٌ بالأحقب. والله أعلم.

قلت: وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه: هامة بن الهيم بن الأقيس[٢] بن إبليس؛ قيل: إنه من مؤمني الجنِّ وممن لقي النبيَّ ﷺ وعلَّمه سورةَ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ و﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿ٱلْحَمْدُ﴾ و﴿الْمُعَوِّذَتَيْنِ﴾. وذكَر أنه حضر قتلَ هابيل وشَرِك في دمه وهو غلام ابن أعوام، وأنه لقي نُوحاً وتاب على يديه، وهوداً وصالحاً ويعقوب ويوسف وإلياسَ وموسى بنَ عمران وعيسى بن مريم عليهم السلام[٣]. وقد ذكر الماورديُّ أسماءهم عن مجاهد فقال: حسى ومسى ومنشى وشاصر وماصر والأرد وأنيان والأحقم[٤]. وذكرها أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السمَّاك قال: حدَّثنا محمد بن البراء قال: حدَّثنا الزبير بن بكار قال: كان حمزة بن عتبة بن أبي لهب يُسَمِّي جِنَّ نَصِيبين الذين قدِموا على رسول الله ﷺ فيقول: حسى ومسى وشاصر وماصر والأفخر والأرد وأنيال.

---

(١) في التعريف والإعلام ص١٥٨، وما قبله منه.

(٢) في المصادر الآتية: لاقيس، بدل: الأقيس، وقال ابن حجر في الإصابة ١٠/ ٢٢٧ في «هامة»: ذكره جعفر المستغفري في الصحابة: وقال: لا يثبت إسناد خبره.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الهواتف (١٠١)، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٩٦ - ٩٧، من حديث أنس ﷺ. وفي إسناده محمد بن عبد الله الأنصاري، منكر الحديث كما في الضعفاء وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤٨١ - ٤٨٢.

وأخرجه - أيضاً - العقيلي في الضعفاء ١/ ٩٨ - ١٠٠، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٤١٨ - ٤٢٠ من حديث عمر ابن الخطاب ﷺ. وقال الذهبي في الميزان ١/ ١٨٦: لا أعلم أشنع من الحديث الذي رواه العقيلي ... فذكره ثم قال: وهذا الحديث قد رواه البيهقي بإسناد أصلح من هذا.. اهـ وقال العقيلي ٣/ ٥٩٩: ... وهو باطل بالإسنادين.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٨٦، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٧ (١٨٥٨٠) عن سويد بن عبد العزيز، عن رجل سماه عن ابن جريج. وسويد ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب. ولم يذكر في المصادر اسم «منشى»، وينظر الدر المنثور ٦/ ٤٥.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: حضروا النبيَّ ﷺ، وهو من باب تلوين الخطاب. وقيل: لما حضروا القرآن واستماعه[١] ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: اسكتوا لاستماع القرآن. قال ابن مسعود: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآنَ ببطن نَخْلة، فلمَّا سمعوه ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ قالوا: صه. وكانوا سبعة: أحدهم زوبعة؛ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ الآية إلى قوله: ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

وقيل: «أَنْصِتُوا» لسماع قولِ رسول الله ﷺ؛ والمعنى متقارب. ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ وقرأ لاحق بن حُميد وخُبيب بن عبد الله بن الزبير: «فَلَمَّا قَضَى» بفتح القاف والضاد[٣]؛ يعني النبيَّ ﷺ قبل الصلاة. وذلك أنهم خرَجوا حين حُرست السماء من استراق السمع ليستخبروا ما أوجب ذلك؟ فجاؤوا وادي نخلة والنبيُّ ﷺ يقرأ في صلاة الفجر، وكانوا سبعة، فسمعوه وانصرفوا إلى قومهم منذِرين، ولم يعلم بهم النبيُّ ﷺ. وقيل: بل أُمر النبيُّ ﷺ أن ينذِر الجنَّ ويقرَأ عليهم القرآن، فصرف اللهُ إليه نفراً من الجنِّ ليستمعوا منه وينذِروا قومَهم؛ فلمَّا تلا عليهم القرآنَ وفرَغ؛ انصرفوا بأمره قاصدين مَن وراءهم من قومهم من الجنِّ، منذرين لهم مخالفةَ القرآن ومحذِّرين إياهم بأسَ الله إن لم يؤمنوا. وهذا يدلُّ على أنهم آمنوا بالنبيِّ ﷺ، وأنه أرسلهم. ويدلُّ على هذا قولُهم: «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ» ولولا ذلك لمَا أنذَروا قومَهم[٤]. وقد تقدَّم عن ابن عباس أنَّ النبيِّ ﷺ جعلهم رسلاً إلى قومهم[٥]؛ فعلى هذا ليلةُ الجنِّ

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٧٠ .

(٢) أخرجه الدارقطني في العلل ٥/ ٥٥ دون قوله : فأنزل : ﴿إذ صرفنا ...﴾ ، وأخرجه بتمامه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٥٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٤ لابن أبي شيبة ، وابن منيع وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٦٧ ، وهي قراءة شاذة.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ١٦٤ و١٧١ .

(٥) ص٢٢٤ من هذا الجزء.

ليلتان، وقد تقدَّم هذا المعنى مستوفًى. وفي صحيح مسلم[١] ما يدلُّ على ذلك؛ على ما يأتي بيانه في ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١].

وفي صحيح مسلم عن مَعْن قال: سمعتُ أبي قال: سألت مسروقاً: مَن آذنَ النبيَّ ﷺ بالجنِّ ليلةَ استمعوا القرآن؟ فقال: حدَّثني أبوك ـ يعني ابنَ مسعود ـ أنه آذَنَتْه بهم شَجَرةٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي: القرآن؛ وكانوا مؤمنين بموسى. قال عطاء: كانوا يهوداً فأسلَموا، ولذلك قالوا: «أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى». وعن ابن عباس: أن الجِنَّ لم تكن سمِعتْ بأمر عيسى؛ فلذلك قالت: «أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى»[٣].

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني ما قبْلَه من التوراة. ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: دينِ الحق. ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: دينِ اللَّهِ القويم. ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ يعني محمداً ﷺ، وهذا يَدلُّ على أنه كان مبعوثاً إلى الجِنِّ والإنس. قال مقاتل: ولم يَبعث اللهُ نبيًّا إلى الجنِّ والإنس قبلَ محمدٍ ﷺ[٤].

---

(١) برقم (٤٤٩) من حديث ابن عباس ﷺ، وسلف بنحوه ص٢٢٠-٢٢٢ من هذا الجزء.

(٢) صحيح مسلم (٤٥٠) (١٥٣)، وقوله: «آذنته بهم شجرة» أي أعلمته بهم، وظاهره أن الله تعالى خلق فيها نطقاً فهِمه النبيُّ ﷺ، كما خَلَق في الذراع المسمومة نطقاً. المفهم ٧/ ٤٢٢. ومعن: هو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٢٧، وذكر قول عطاء ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٩٠، وذكر قول ابن عباس ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٦.

(٤) الوسيط ٤/ ١١٥، والرازي ٢٨/ ٣٢ - ٣٣.

قلت: يَدلُّ على قوله ما في صحيح مسلم[١]: عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعطِيتُ خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي، كان كلُّ نبيٍّ يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعثت إلى كلِّ أحمرَ وأسْوَدَ، وأحِلَّت ليَ الغنائمُ ولم تُحَلّ لأحدٍ قبلي، وجُعلت ليَ الأرضُ طيِّبةً طهوراً ومسجداً، فأيُّمَا رَجُلٍ أدركته الصلاةُ صلَّى حيثُ كان، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ بين يَدَيْ مسيرةِ شَهْرٍ، وأُعطِيتُ الشفاعةَ». قال مجاهد: الأحمرُ والأسود: الجنُّ والإنس[٢]. وفي روايةٍ من حديث أبي هريرة: «وبُعثتُ إلى الخَلق كافةً، وخُتم بيَ النَّبيُّون»[٣].

﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ أي: بالداعي، وهو محمدٌ ﷺ. وقيل: «به» أي: باللهِ؛ لقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾. قال ابن عباس: فاستجاب لهم من قومهم سبعون رجلاً، فرجَعوا إلى النبيِّ ﷺ فوافقوه بالبطحاء؛ فقرَأ عليهم القرآنَ وأمرَهم ونهاهم.

مسألة: هذه الآي تدلُّ على أن الجِنَّ كالإنس في الأمر والنهي والثوابِ والعقاب[٤]. وقال الحسن: ليس لمؤمني الجنِّ ثوابٌ غير نجاتهم من النار[٥]؛ يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وبه قال أبو حنيفة قال: ليس ثوابُ الجِنِّ إلا أن يُجاروا من النار[٦]، ثم يقال لهم: كونوا تراباً، مثلَ البهائم. وقال آخرون: إنهم كما يُعاقبون في الإساءة يُجازَوْن في الإحسان مثل الإنس.

---

(١) برقم (٥٢١)، وسلف ٤/٢٥٨ و٩/٣٢.

(٢) مسند أحمد (٢١٢٩٩).

(٣) صحيح مسلم (٥٢٣): (٥) وهو عند الإمام أحمد (٩٣٣٧).

(٤) تفسير الرازي ٢٨/٣١.

(٥) لم نقف عليه من قول الحسن، وأخرج البيهقي في البعث (١١٧) عن الحسن، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ: «إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب» فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيهم؟ فقال: «على الأعراف، وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ»... وفي إسناده: يوسف بن يزيد: صدوق ربما أخطأ، وعروة بن رويم: صدوق يرسل كثيراً. كذا في تقريب التهذيب.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم ٤/١٦٩: والصحيح أنهم يدخلونها [أي: الجنة] ويتنعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما. وهذا قول الحسن البصري وغيره...

(٦) الكشاف ٤/٥٢٧.

وإليه ذَهب مالكٌ والشافعيُّ وابن أبي ليلى. وقد قال الضحاك: الجِنُّ يَدخلون الجنة ويأكلون ويشربون[١]. قال القشيريُّ: والصحيح أن هذا مما لم يُقطع فيه بشيء، والعلمُ عند الله.

قلت: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ يَدلُّ على أنهم يُثابون ويَدخلون الجنةَ؛ لأنه قال في أوّل الآية: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ إلى أن قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٠-١٣٢]. واللهُ أعلم؛ وسيأتي لهذا في سورة الرحمن[٢] مزيدُ بيانٍ إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يَفوت اللهَ ولا يَسبِقُه. ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ﴾ أي: أنصارٌ يمنعونه من عذاب الله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الرؤيةُ هنا بمعنى العلْم. و«أنّ» واسمها وخبرها سدّت مسدَّ مفعولَي الرؤية. ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ﴾ احتجاجٌ على منكري البعثِ. ومعنى «لَمْ يَعْيَ»: يَعْجز ويَضْعُف عن إبداعهنَّ. يقال: عَيَّ بأمره وعَيِيَ: إذا لم يهتدِ لوجهه[٣]؛ والإدغام أكثر. وتقول في الجمع: عَيُوا ـ مخففاً ـ وعَيَّوا أيضاً؛ بالتشديد. قال:

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٢٨/ ٣٣.

(٢) عند تفسير الآية (٤٦) منها.

(٣) زاد المسير ٧/ ٣٩١ بنحوه.

عَـيُّـوا بِـأمـرهـمُ كـمَـا عَـيَّـتْ بـبـيـضـتـهـا الـحـمـامـه[١]

وعَيِيتُ بأمري: إذا لم تهتد لوجهه. وأعياني هو.

وقرأ الحسن: «وَلَمْ يَعِيْ» بكسر العين وإسكانِ الياء[٢]؛ وهو قليلٌ شاذٌّ، لم يأتِ إعلالُ العين وتصحيح اللام إلا في أسماء قليلة، نحو: غاية وآية. ولم يأت في الفعل سوى بيت أنشده الفرَّاءُ؛ وهو قول الشاعر:

فـكـأنـهـا بـيـن الـنـسـاء سَـبِـيـكَـةٌ تـمـشِـي بِـسُـدَّة بَـيْـتـهـا فـتُـعِـيُّ[٣]

﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ قال أبو عبيدة والأخفشُ: الباء زائدة للتوكيد كالباء في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقال الكسائيُّ والفرَّاءُ والزجَّاج: الباء فيه خَلَف الاستفهام والجحد في أوّل الكلام[٤]. قال الزجَّاج[٥]: والعرب تدخلها مع الجحد؛ تقول: ما ظننت أن زيداً بقائم. ولا تقول: ظننت أن زيداً بقائم. وهو لدخول «ما» ودخول «أنّ» للتوكيد. والتقديرُ: أليس اللهُ بقادر، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ﴾ [يس: ٨١].

وقرأ ابن مسعود والأعرجُ والجَحدرِيُّ وابن أبي إسحاق ويعقوب: «يَقدر»[٦]

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص كما في أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٦٧ - ٦٨، والصحاح (عيي)، وزهر الأكم ٢/ ١٩٠، وهو في ديوان عبيد ص ١٣٨ بلفظ:

بـرمـت بـنـوا أسـدٍ كـمـا بَـرِمـت بـبـيـضـتـهـا الـحـمـامـه

ونسب لسلامة بن جندل، وهو في ديوانه ص٢٤٨.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٣٩، والمحتسب ٢/ ٢٦٩.

(٣) البيت للحُطيئة كما في تاج العروس (عيي)، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٨، وابن جني في المحتسب ٢/ ٢٦٩، وقال أبو إسحاق النحوي - كما في تهذيب اللغة -: هذا غير جائز عند حذاق النحويين. وذكر أن البيت الذي استشهد به الفراء ليس بمعروف. وقال الأزهري: والقياس ما قال أبو إسحاق وكلام العرب عليه...

(٤) الوسيط ٤/ ١١٦، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١٣، ومعاني الأخفش ٢/ ٦٩٤، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٥٦.

(٥) في معاني القرآن له ٤/ ٤٤٧ بنحوه.

(٦) قراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٥٥، وهي من العشرة. وعن الأعرج والجحدري وابن أبي إسحاق في تفسير الطبري ٢١/ ١٧٥، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٣ - ١٧٤.

واختاره أبو حاتم؛ لأن دخول الباء في خبر «أنّ» قبيحٌ. واختار أبو عبيدة قراءةَ العامة؛ لأنها في قراءة عبد الله: «خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ» بغير باء[1]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: ذكِّرْهم يومَ يعرضون فيقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ فيقول لهم المقرِّرُ: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بكفركم.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال ابن عباس: ذوو الحزمِ والصبر[2].

قال مجاهد: هم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمدٌ عليهم الصلاة والسلام. وهم أصحاب الشرائع[3].

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٧٥ ، والكشاف ٣/ ٥٢٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٦ .

(٢) زاد المسير ٧/ ٣٩٢ دون نسبة وذكره عن ابن عباس البغويُّ في تفسيره ٤/ ١٧٦ دون قوله : والصبر . وذكره عن الضحاك بلفظ : ذوو الجد والصبر .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٩٢ عن مجاهد وغيره ، وذكره البغوي في تفسيره ٤/ ١٧٦ عن ابن عباس وقتادة ، وأخرجه الطبري ٢١/ ١٧٧ عن عطاء الخراساني . وهؤلاء الأنبياء الخمسة: هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] وأشار إلى ذلك المصنف ثمة .

وقال أبو العالية: إن أولي العزم: نوح، وهود، وإبراهيم. فأمر اللهُ عزَّ وجل نبيَّه عليه الصلاة والسلام أن يكون رابعَهم. وقال السدّيُّ: هم ستة: إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمدٌ؛ صلوات الله عليهم أجمعين[١].

وقيل: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء[٢].

وقال مقاتل: هم ستة: نوحٌ؛ صبرَ على أذى قومِه مدَّةً، وإبراهيم؛ صبر على النار، وإسحاق؛ صبر على الذبح، ويعقوب؛ صبر على فقد الولد وذهاب البصر. ويوسف؛ صبر على البئر والسجن. وأيوب؛ صبر على الضُّرِّ[٣].

وقال ابن جُريج: إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم[٤].

وقال الشعبيُّ والكلبيُّ ومجاهد أيضاً: هم الذين أُمِروا بالقتال، فأظهروا المكاشفةَ وجاهدوا الكفرة[٥]. وقيل: هم نجباءُ الرسل المذكورون في سورة الأنعام[٦]، وهم ثمانية عشر: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهرون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط. واختاره الحسن بن الفضل؛ لقوله في عقبه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[٧] [الأنعام: ٩٠].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٧/ ٣٩٢ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ١٧٦ .

(٣) الوسيط ٤/ ١١٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٧٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٧ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٨٩ ، وزاد المسير ٧/ ٣٩٢ .

(٥) ذكره الواحديُّ في الوسيط ٤/ ١١٦ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٧٦ عن الكلبي .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ١٧٦ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧ .

وقال ابن عباس أيضاً: كلُّ الرسل كانوا أولي عزم[١]. واختاره عليُّ بن مهدي الطبريُّ، قال: وإنما دخلت «من» للتجنيس لا للتبعيض[٢]؛ كما تقول: اشتريتُ أردية من البَزِّ وأكسيةً من الخَزِّ[٣]. أي: اصبر كما صَبَر الرسلُ. وقيل: كلُّ الأنبياء أولو عَزْمٍ إلا يونس بن متى[٤]؛ ألا ترى أن النبيَّ ﷺ نُهي أن يكون مثلَه؛ لخفَّةٍ وعَجَلةٍ ظهرت منه حين ولَّى مُغاضِباً لقومه[٥]، فابتلاه الله بثلاث: سلَّط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله، وسلَّط الذئبَ على ولده فأكلَه، وسلَّط عليه الحوتَ فابتلعه؛ قاله أبو القاسم الحكيم.

وقال بعض العلماء: أولو العزم اثنا عشر نبيًّا أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصَوهم، فأوحى اللهُ إلى الأنبياء: إني مرسلٌ عذابي إلى عصاة بني إسرائيل؛ فشقَّ ذلك على المرسلين، فأوحى اللهُ إليهم: اختاروا لأنفسكم، إن شئتم أنزلتُ بكم العذابَ وأنجيتُ بني إسرائيل، وإن شئتم نجَّيتكم وأنزلتُ العذابَ ببني إسرائيل؛ فتشاوروا بينهم، فاجتمع رأيُهم على أن ينزل بهم العذاب، وينجي اللهُ بني إسرائيل[٦]؛ فأنجى الله بني إسرائيل وأنزَل بأولئك العذاب. وذلك أنه سلط عليهم ملوكَ الأرض؛ فمنهم من نُشر بالمناشير، ومنه من سُلِخَ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من صُلب على الخشب حتى مات، ومنهم من حُرِّق بالنار. والله أعلم.

وقال الحسن: أُولو العزم أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى؛ فأما

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ١٧٧ عن ابن زيد.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٧٦.

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧ من قول أبي القاسم الحكيم، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٩٣ عن الثعلبي.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٧٦ بنحوه.

(٦) ينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٧.

إبراهيم فقيل له: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، ثم ابتلِيَ في ماله وولده ووطنه ونفسه، فوجد صادقاً وافيًا في جميع ما ابتلي به. وأما موسى فعزمُه حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]. وأما داود فأخطأ خطيئته فنُبِّه عليها، فأقام يبكي أربعين سنةً حتى نبتت من دموعه شجرة، فقعد تحت ظلِّها. وأما عيسى فعزمُه أنه لم يضع لَبِنة على لَبِنة وقال: إنها مَعْبَرةٌ، فاعبرُوها ولا تعمرُوها[١]. فكأن اللهَ تعالى يقولُ لرسوله ﷺ: اصبر، أي: كن صادقاً فيما ابتُليتَ به مثل صدق إبراهيم؛ واثقاً بنُصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتمًّا بما سلَف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهداً في الدنيا مثل زهد عيسى.

ثم قيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: محكمة؛ والأظهر أنها منسوخة؛ لأن السورة مكيَّةٌ. وذكر مقاتل: أن هذه الآية نزَلت على رسول الله ﷺ يومَ أُحُد، فأمرَه الله عزَّ وجل أن يصبر على ما أصابه كما صبرَ أولو العزم من الرسل؛ تسهيلاً عليه وتثبيتاً له[٢]. والله أعلم.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ قال مقاتل: بالدعاء عليهم[٣]. وقيل: في إحلالِ العذاب بهم، فإن أبعدَ غاياتهم يومُ القيامة. ومفعولُ الاستعجال محذوفٌ، وهو العذاب[٤].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ قال يحيى: من العذاب. النقَّاش: من الآخرة. ﴿لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ أي: في الدنيا حتى جاءهم العذاب، وهو مقتضى قول يحيى. وقال النقَّاش: في قبورهم حتى بُعثوا للحساب[٥]. ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ يعني في جنْب يومِ القيامة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٨ ، والرازي ٢٨/ ٣٥ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٨٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٣٥ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٨٩ .

وقيل: نَسَّاهم هَوْلُ ما عاينوا من العذاب طولَ لَبثهم في الدنيا. ثم قال: ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا القرآنُ بلاغ؛ قاله الحسن[١]. فـ«بلاغ» رفع على إضمار مبتدأ[٢]؛ دليله قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]. والبلاغ بمعنى التبليغ. وقيل: أي: إن ذلك اللَّبث بلاغ؛ قاله ابن عيسى[٣]، فيوقف على هذا على «بلاغ» وعلى «نَهَارٍ». وذكر أبو حاتم: أن بعضهم وقف على «وَلَا تَسْتَعْجِلْ»، ثم ابتدأ: «لَهُمْ»؛ على معنى: لهم بلاغ. قال ابن الأنباريِّ: وهذا خطأ؛ لأنك قد فصَلت بين البلاغ وبين اللام ـ وهي رافعة ـ بشيء ليس منهما.

ويجوز في العربية: بلاغاً وبلاغٍ؛ النصب على معنى إلا ساعة بلاغاً، على المصدر أو على النعت للساعة. والخفض على معنى من نهارٍ بلاغ. وبالنصب قرَأ عيسى بن عمر والحسن[٤]. ورُوي عن بعض القرَّاء: «بَلِّغْ» على الأمر؛ فعلى هذه القراءة يكون الوقف على «مِنْ نَهَارٍ» ثم يبتدئ: «بَلِّغْ»[٥].

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون على أمر الله[٦]؛ قاله ابن عباس وغيره.

وقرَأ ابن مُحَيْصن: «فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ»[٧] على إسناد الفعل إلى القوم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٥.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٨٩.

(٤) المحتسب ٢/ ٢٦٨، والقراءات الشاذة ص ١٤٠.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٩٤ - ٨٩٥، وقراءة «بلِّغ» ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٤٠، وابن جني في المحتسب ٢/ ٢٦٨ من قراءة أبي مجلز وسراج.

(٦) الوسيط ٤/ ١١٧، وتفسير البغوي ٤/ ١٧٧ دون نسبة.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٠، والمحتسب ٢/ ٢٦٨.

وقال ابن عباس: إذا عَسِرَ على المرأة وَلَدُها؛ تكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة، ثم تُغسَل وتُسقى منها، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لا إله إلا اللهُ العظيمُ الحليم الكريم، سبحان الله ربِّ السماوات وربِّ الأرض وربِّ العرش العظيم، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1] صدق الله العظيم.

وعن قتادة: لا يُهلك الله إلا هالكاً مشركاً[2]. وقيل: هذه أقوى آية في الرجاء[3]. والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٢٧ وإسناده ضعيف.

(٢) في (د) و(ظ): لا يهلك إلا هالك مشرك. وذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ١١٧، وأخرجه الطبري ٢١/ ١٧٨ بنحوه.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٨ عن الثعلبي.